

حويله وخولان -

ويقطان وقحطان

دراسة في الجغرافية التاريخية والأنساب

من خلال التوراة والمصادر التاريخية وكتابات
المستشرقين

د. محمد علي السلامي

قسم الآثار، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

ملخص:

تتميز المادة الأنسابية التي يوردها النسابة العرب بغزارتها كما تميز علم الأنساب بإعطائه مرتبة الصدارة على عدة علوم أخرى غيره.

وينقسم فريق دارسي المادة العربية الأنسابية المحدثين، عرب وأجانب، في الغالب إلى نقيضين متطرفين حول تقييم تلك المادة، فهم فيما بين جامد مؤمن بها بحذافيرها رافض لمسألة التحليل وإعمال النظر فيها وبين معرض يعتبرها خرافة ولغو لا علاقة له بالواقع بل ويرفض حتى إعطائها حقها من التحليل وإمعان النظر كمسألة علمية.

على أننا نجد وفق دراساتنا السابقة "م.ع. السلامي (2002)، M. A. Al-Salami (2007)، والتي اهتمت بالتحديد بتلك الأعمال الأنسابية منها التي أوردتها علماء علم الأنساب العرب الكبار أصحاب مصادرها الأصلية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى وحتى النصف الأول من القرن الرابع الهجري انتهاءً بالهمداني، بأن تلك الأعمال كانت مولاة بأهمية كبرى عند العرب آنذاك وأنها

كانت مُمثلة تمثيلاً حياً على أرض الواقع وفق شواهد كثيرة. كما نجد تلك الأعمال الأنسابية تستظم في مدارس أنسابية عدة تتفق مع بعضها البعض في الجُل الكبير من مادتها وتختلف فيما بينها إما في وجهات نظر متباينة حول نسبة بعض القبائل أو في مسألة التفصيل السردى الأنسابي. كما نجد أيضاً لبعض من تلك المدارس غوراً زمنياً يرجع بجذوره إلى مرحلة ما قبل الإسلام ذاتها. كما تتواتر لدينا ملاحظات تتعاضد مع بعضها البعض تتعلق بمسألة الإجابة على تساؤل قادتنا إليه خطواتنا البحثية السابقة وأبرزته لنا عملية إمعان النظر في المادة الأنسابية وهو تساؤل يدور حول كيفية صناعة النسق النسبي.

ويتقوّل واحد من مداخلنا التي ستفيد في معالجة التساؤل السابق ضمن ما سيعالجه بحثنا هذا بدءاً من تصحيح للاعتقاد السائد في الأوساط العلمية الغربية والعربية بأن الرحالة والجغرافيين الألمان كارستن نيبور، والذي زار اليمن كعضو في البعثة الدانمركية في القرن الثامن عشر الميلادي، هو أول من اعتبر قبيلة حويله التوراتية المذكورة في الجداول الأنسابية بالتوراة/ سفر التكوين والمشهورة كذلك بكونها موطن للذهب الجيد هي نفسها قبيلة خولان اليمنية معتمداً خلال ذلك وفق كتابه (Beschreibung von Arabien / وصف جزيرة العرب) على المقارنة اللغوية السطحية، وهو اعتقاد تم تبنيه فيما بعد من على العلماء الغربيين مروراً بـ فون فيسمان وحتى فالتر مولر.

في دراستنا هذه نورد بأن المقابلة الأنسابية فيما بين كل من حويله التوراتية وخولان إنما هو أمر قد تم قبل ذلك، وفيما يسبق عهد كارستن نيبور بمئات السنين، في تلك الأعمال الأنسابية التي يسوقها الهمداني في كتابه الإكليل، وبالتالي فإلى تلك الأعمال الأنسابية يجب أن يُعزى ذلك السبق وليس إلى كارستن نيبور.

وعلى كل فإن معالجتنا التحليلية لما وراء تلك المقابلة الأنسابية سترفدنا بنتائج هامة متعلقة بمسألة الإجابة على التساؤل السابق.

الكلمات المفتاحية: حويلة، خولان، يقطان، قحطان، أنساب، التوراة، اليمن.

تعد مسألة التحقيق الجغرافي التاريخي عن قبيلة حويله المذكورة في التوراة وعن موطنها إحدى المسائل التي أسهب العلماء الغربيون في العصر الحديث في معالجتها في دراسات عديدة يأتي من أهمها ذلك الطرح الخاص بـ "كارستن نيبور" في 1772م والذي يجعل من حويله هي نفسها القبيلة اليمنية خولان.

وقد تبع نيبور عددٌ من عليّة العلماء الغربيين مثل "فون فيسمان" و"فالتر مولر" معززين طرحة بأدلة جديدة ومعتقدين بأن نيبور هو الصاحب الأول لذلك الربط فيما بين "حويله" و"خولان". على أنهم جميعاً لم يتنبهوا إلى أن إحدى الروايات الأنسابية المحلية التي يسوقها لنا "الهمداني" في الجزء الأول من كتابه "الإكليل" هي أول من اعتبر "حويله" بأنها "خولان" سابقة بذلك "كارستن نيبور" بزمان طويل.

وتهدف دراستنا إلى إيضاح عملية السبق تلك مع بحث مسألة تحديد "حويله" بحثاً تتبعياً شمولياً حتى العصر الحديث. وذلك من خلال كتاب التوراة والمصادر التاريخية الأساسية وما تلاها من دراسات. والبحث يعتمد على التحليل والنقد وإضافة وجهة نظر جديدة متعلقة بذلك.

خولان

خولان هي إحدى القبائل اليمنية الكبرى التي تغطي في حضورها القبلي الفاعل كل المراحل التاريخية قبل الإسلام وفي الإسلام في اليمن، بدءاً من أول ذكر لها في أحد أقدم النقوش اليمنية القديمة (نقش النصر بصرواح / GI 1000 B) يرجع إلى بداية القرن السابع ق.م وحتى يوم الناس هذا.

وكما أنها مُمثّلة حالياً في حضورها بجزئياتها القبليين الرئيسيين الكبيرين "خولان الطيال (= خولان العالية في المصادر العربية الإسلامية)" الواقعة فيما بين صنعاء ومارب، و"خولان صعدة" الواقعة بين وادي بيش من سرة عسير شمالاً والحفاف الجنوبية من حقل صعدة جنوباً، فإنها كانت كذلك ممثلة بجزئياتها - مع بعض الاختلافات المكانية - في مرحلة قبل الإسلام وفقاً لما تبينه لنا النقوش اليمنية القديمة. ويتمثل جزؤها الأول فيما نستطيع أن نعرفه بـ "خولان الجنوبية" - مقابل التسمية "خولان الشمالية" كتعريف خاص بخولان

الواقعة في جهات صعدة وجنوبي عسير - ⁽¹⁾ وهي تلك التي يأتينا أول ذكر لها من خلال النقش السبئي (Gl 1000 B) والذي يرجع إلى بداية القرن السابع ق.م تقريباً. وكانت تتموضع مكانياً في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من صرواح باتجاه جنوب وجنوب شرق فيما يشمل الأجزاء الشرقية من قبيلة بني ضبيان من خولان الطيال حالياً وجانباً من وادي الجوبة متداخلة مع قبيلة ردمان في بلادها شرقي وشمالاً شرق رداً وحتى منطقة الحد من يافع جنوباً ⁽²⁾ (خارطة: 1)، وبدءاً من القرن الثاني/ الثالث الميلاديين، أي في مرحلة الصراع السبئي/ الريداني، شهد الجانب الشمالي من قبيلة خولان هذه والذي عرف نقشياً بـ "خولان خضلم" نزوحاً مكثفاً، مع أجزاء من قبائل حميرية أخرى كـ "شداد" و"يهبشر" و"قششم" و"بني ذي الشعبين" صوب المنطقة السبئية المرتفعة الواقعة بين مدينتي صنعاء ومارب وذلك على خلفية موجة طويلة المدى من التغير المناخي المطرد نحو الجفاف، بحيث لم يأت القرن الخامس الميلادي إلا وقد أصبحت تلك المنطقة خولانية إنصهرت فيها وضمن مسماها بقية الفروع الحميرية النازحة معها. أما الجانب الجنوبي من خولان الجنوبية المتصل مكانياً بمنطقة الحد في يافع، فقد ظل أثناء ذلك محالفاً لقبيلة ردمان ثم ذاب بالتدرج في القبائل المجاورة، بحيث لم يأت الإسلام إلا وقد أصبح المشهور من خولان الجنوبية إنما هو ذلك الجانب المتوطن في المنطقة الواقعة بين صنعاء ومارب والذي أطلق عليه في المصادر العربية الإسلامية كما أسلفنا "خولان العالية (= خولان الطيال حالياً)".

أما خولان الشمالية فيأتينا أول ذكر لها في النقوش من الفترة حوالي نهاية القرن الأول الميلادي - دون أن يكون ذلك بالطبع تسجيلاً لبداية حضورها هناك والذي ينبغي أن يكون أكثر إيغالاً في القدم. وقد عرفت في النقوش السبئية بـ "خولان أجودان/ جديدتان/ جدد"، ويكاد أن يتطابق موضعها المكاني المعروف من خلال معطيات النقوش إلى حد كبير مع تحديدها المعروف من خلال كتابات الهمداني في "صفة جزيرة العرب" والذي يبدأ عنده من جنوبي وادي بيش من سراة عسير شمالاً ليشمل كل مرتفعات سلسلة السراة جنوبي تلك النقطة

(1) يعود في الأصل أول استخدام لذلك الاصطلاح الوصفي الجغرافي لجزئي خولان (شمالية/جنوبية)، والذي نتبناه هنا، إلى "فون فيسمان" (v. Wissmann) في دراسته:

V. Wissmann, H., Dphir und Äawila, das westarabische Goldland, Dedan und Hegra, in: Paulys Realencyclopädie der Classischen Altertumswissenschaft, Supplementband 12 (1970) 906-980.

(2) أنظر: Al-Salami [=as-Salāmī], M. A., Sabäische Inschriften aus dem Äawlan, FSU Jena 2007, 241-249.

بمهارقتها وامتداداتها حتى تهامة، بالإضافة إلى حقل صعدة وما حاذاه غرباً من مرتفعات السراة.

وتسجل لنا معطيات المصادر الإسلامية في مراحلها الزمنية وجوداً لكيانات قبلية خولانية عديدة في اليمن، علاوة على القسمين الكبيرين السابقين من خولان "خولان العالية (الجنوبية) وخولان صعدة (الشمالية)"، ومنها الوجود الخولاني بالمنطقة المعروفة حالياً ببني مطر الأعلى (حضور)، وبني مطر الأسفل (مخلاف بني شهاب أو بلاد البستان) غربي صنعاء، الذي كان وطناً للقبائل الخولانية "بني مطر، بني سويد، بني قيس، بني شهاب"، والوجود الخولاني ببلاد عتمة ووصاب غربي ذمار. وكذلك الوجود الخولاني الكثيف في مخلاف الكلاع وبالتحديد في العدين، وفي بلاد المعافر وبالتحديد في جبل حبشي. علاوة على الوجود الخولاني في حضرموت وبالتحديد في المهجرين ووادي عمد، التي نشأت جميعها عن نزوحات مكثفة لفروع وبطون من كل من القبيلتين الخولانيتين الكبيرين "خولان العالية وخولان صعدة" سببتها دورات الجفاف المطردة، وعامل الضغط السكاني متجهةً تلك النزوحات باستثناء ما يتعلق منها بحضرموت - من مناطقها الأصلية صوب المناطق الغربية والجنوبية الغربية الأكثر أمطاراً وخصوبة.

وثُخِّشَ خولان عند النسابة العرب في عدة أنساق أنسابية، فهي عند بعضهم كـ "عبيد بن شرية الجرهمي" كهلانية -دونما تفريق بين قسميها الكبيرين. وعند آخرين كـ "هشام بن الكلبي" في رواية له قضاعية حميرية -دونما تفريق بين قسميها أيضاً. وفي رواية أخرى له وكذلك في المدرسة الأنسابية المحلية الخاصة بنسب ولد الهميسع بن حمير، التي يوردها الهمداني في كتابه "الإكليل ج 2" حميرية من ولد الهميسع بن حمير تنقسم إلى جذمين كبيرين هما "خولان رداغ" و"خولان سخيم" - دونما تفريق بين قسميها. أما عند الهمداني فإن خولان العالية منها هي "كهلانية"، أما خولان صعدة فهي عنده "قضاعية حميرية" فاصلاً بالتالي بينهما. وقد عارضه "نشوان الحميري" في ذلك قائلاً بأن كلا من الفرعين الخولانيتين الكبيرين ينتميان إلى قضاعة وأنهما خولان واحدة وأن الخولانيتين في خولان صعدة لا ينكرون مخوتهم بخولان العالية وأن الفرق بينهما إنما هو الفرق فيما بين المكان وليس النسب تماماً كما هو الحال عند قبائل أخرى مشابهة ذات تعدد مكاني مثل الأزد وطئ. ويدل أيضاً على تلك العلاقة

بينهما والنسب الواحد الذي يجمعهما ما يورده الهمداني نفسه وفق رواية خولان صعدة من خروج قبائل من خولان العالية وتوطنهم خولان صعدة. وكذلك وجود تشابه كبير بين العديد من أسماء البطون والفضائد في سلاسل أنسابية تشتمل على أجيال عدة في كل من خولان العالية وخولان صعدة، والتحام كل من القبيلين الخولانيين في الفتح الإسلامي خارج اليمن في قبيل خولاني واحد دونما تفريق تماماً كما حدث آنذاك لكثير من القبائل المشابهة ذات التعدد المكاني كالأزد وغيرها.

كما أن هناك نسق نسبي آخر خاص بكل من "إبن قتيبة" و"إبن هشام" يعتبر خولان مذحجية -دونما تفريق بين جزئيهما.⁽³⁾ وهناك أخيراً نسق نسبي خاص بأبناء قحطان رواه لنا الهمداني في كتابه "الإكليل ج 1" تدخل فيه خولان كإحدى القبائل الكبرى - على حد تعبيره- المنتسبة رأساً لقحطان⁽⁴⁾.

حويله

حويله في العهد القديم (التوراة)

يُرد ذكر حويله (חַוִּילָה) في العهد القديم ست مرات في سياق موضوعات، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول:

يتمثل فقط فيما جاء عنها في الإصحاح الثاني من سفر التكوين (تكوين:2): "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض حويله حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع، واسم الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرق آشور، والنهر الرابع الفرات"⁽⁵⁾

(3) أنظر: السلامي، محمد علي، خولان الأرض والقبيلة في المصادر التاريخية- دراسة تحليلية (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة صنعاء 2002، 17-92. Al-Salami, ibid. 5-18, 241-249.

(4) أنظر: الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، الإكليل ج 1، تحقيق/ محمد علي الأكو، بغداد 1977، 204-205، 208.

(5) أنظر: الترجمة العربية للكتاب المقدس من اللغات الأصلية، UBS-EPF-12M-1996، ص 5. مع التحقق من الصحة

اللفظية للأسماء الواردة في نص الترجمة بمقارنتها بلفظها الأصلي في كل من المعجمين التوراتيين:

Brown, F. Driver, S. Briggs, C. Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, with an appendix containing the Biblical Aramaic, Oxford University Press, Oxford 1951.

وهو كما رأينا سياق جغرافي بحث من حيث التحديد المباشر لموضع حويله المكاني كأرض محاطة بنهر فيشون، ومن حيث سرده لأهم ثرواتها الطبيعية التي تميزها وهي بالدرجة الأولى معدن الذهب الجيد ثم المقل وحجر الجزع وكلاهما من الأحجار الكريمة⁽⁶⁾. مع الأخذ في الاعتبار بأن ورودها في هذا النص كاسم لأرض لا ينفي اعتبارها هنا أيضاً اسم لقبيلة بدليل ورودها هي وبقيّة الأراضي المذكورة معها في السياق الجغرافي نفسه ككوش وآشور كأسماء لقبائل أيضاً في بقية النصوص الأخرى التالي ذكرها.

القسم الثاني:

وهو سياق موضوعي أنسابي صرف عبارة عن جداول لأنساب القبائل من أبناء نوح (عليه السلام) "حام وسام ويافث". ويجمع العديد من الباحثين على أن بنائها إنما يقوم على أساس التجاور المكاني الجغرافي لمجموعات الشعوب والقبائل التي تتركب منها تلك الجداول، دون أن يعبر ذلك عن أي انتماء قرابي حقيقي لأي من أولئك الأجداد⁽⁷⁾، وبالتالي فإن ذلك قد جعلهم ينظرون من خلال تلك الجداول مكانياً إلى مواضع تلك الشعوب والقبائل المدرجة ضمنها في عملية التحقيق والبحث الجغرافي التاريخي عنها.

وثُخِّشَر "حويله" ضمن ثلاثة أنساق نسبية في تلك الجداول، الأول منها ينتهي بـ كوش من أبناء حام، والثاني ينتهي بـ يقطان من أبناء سام، أما الأخير فهو نسق نسبي خاص بالقبائل من أبناء إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام)، منتهاياً بـ سام أيضاً. على أن كلاً من النسقين النسبيين الكوشي واليقطاني يردان بشكل متلازم، بحيث يتبع النسق الكوشي مباشرة النسق اليقطاني في نفس السياق المتصل بنصوص الأسفار التي ذكرتها ليعكس ذلك تضارياً واضحاً في نسبتها إلى كوش أو يقطان كالتالي:

❖ ففي الإصحاح العاشر من سفر التكوين (تكوين: 10: 7):

Davidson, B., The Analytical Hebrew and Chaldee Lexicon, USA 1974.

(6) المقل والجزع ترجمة عربية لكلمتين يذكرهما ذلك النص ضمن ما تشتهر به أرض حويله هما: חַבְדָּה (هابدلح) أي "المقل" وهو نوع من الأصماغ التي تفرزها إحدى الأشجار المعروفة باسم "Commiphora mukul"؛ وشهم) أي "الجزع" وهو العقيق اليماني الأحمر اللون، أنظر: (Brown, ibid. 95, 995).

(7) فيما يتعلق بذلك أنظر على سبيل المثال: بريسند، جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة/ داود قربان، بيروت 1983، 226؛ التونجي، محمد، اللغة العبرية وآدابها، دمشق 1983، 12.

"وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان، وبنو كوش سبًا وحويله وسبته ورعمه وسبتكا، وبنو رعمه شبا ودادان. بنو سام عيلام وآشور وأرفكشاد ولود وأرام، وبنو أرام عوص وحول وجاثر وماش، وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر وعابر له إبنان فالج ويقطان، ويقطان ولد الموداد وشالف وحصرميت ويارج وهدورام وأوزال ودقله وعوپال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويله ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان، وكان مسكنهم من ميسا حينما تجئ نحو سفارجبل المشرق هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كألستنتهم بأراضيهم حسب أمهم"⁽⁸⁾.

ويتكرر ذكر كل من النسقين النسبيين السابقين الكوشي واليقطاني ويتطابق كبير في "الإصحاح الأول" من سفر "أخبار الأيام الأول" (الأيام الأول: 1)، الذي يعد نسخة مكررة من نص سفر (التكوين: 10) السابق تم نسخها في مرحلة زمنية متأخرة⁽⁹⁾:

"وبنو كوش هم سبًا وحويله وسبًا ورعمًا وسبتكا، وبنو رعمًا شبا ودادان. بنو سام عيلام وآشور وأرفكشاد ولود وأرام وعوص وحول وجاثر وماشك. وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد فالج ويقطان، ويقطان ولد الموداد وشالف وحصرميت ويارج وهدورام وأوزال ودقله وعيبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويله ويوباب كل هؤلاء بنو يقطان"⁽¹⁰⁾.

إن تكرار ورود "حويله" بنفس الرسم والحركات مع سب/ شبا (= سبًا المعروفة في النقوش اليمنية القديمة) في كل من النسقين النسبيين الكوشي واليقطاني يدل على أنها هي نفس القبيلة في كل من النسقين.

ومن ناحية أخرى فإن ورود كل من النسقين النسبيين الكوشي واليقطاني وبصورة متتابعة في نفس السياق النصي الواحد في سفر (التكوين: 10) كموضوع أني واحد دونما فاصل بينهما، ثم تكرار ذلك بنفس التتالي في نص (الأيام الأول: 1) يظهر متناقضا مع اعتبار ورود حويله مع سبًا في النسقين النسبيين

(8) الترجمة العربية للكتاب المقدس (مصدر سابق) 16، 17، مع المقارنة بالمرجعين السابقين: (Brown: 1951)

(Davidson: 1974)

(9) أنظر فيما يتعلق بذلك النسخ المتأخر زمنياً: طعيمة، صابر، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، بيروت 1985، 75-77.

(10) الترجمة العربية للكتاب المقدس (مصدر سابق) 633، مع المقارنة بالمرجعين السابقين: (Brown: 1951)

(Davidson: 1974). وأنظر أيضاً ما يورده برون (Brown) في كتابه السابق، 296 بصدد ذلك.

الكوشي واليقطاني مجرد اختلاف فقط في نسبتهما إلى كوش أو يقطان، إذ أنه من غير المنطقي أن يُحشر التناقض البين في تلك النسبة ضمن سياق نصي واحد.

أما إذا سلمنا بأن الاختلاف بين كلا النسقين النسبيين لـ كوش ويقطان، يقتضي أيضاً التباين المكاني لقبائل كل من النسقين، فإنه سيتكرر لدينا بذلك وجود "حويله" و"سبأ" مرتين في موضعين مكانيين مختلفين، وبالتالي فإن مسألة إعادة "حويله" أرض الذهب الواردة في نص سفر (التكوين: 2) في القسم الأول، إلى واحدة منهما سيكون أمراً محسوماً لصالح إرتباطها فقط بالنسق النسبي الخاص بيقطان، لأن نص سفر (التكوين: 2) يفرد لحويله أرض الذهب موضعاً مكانياً مستقلاً تماماً عن كوش التي يفرد لها موضعاً مكانياً آخر.

وفي كلا الحالتين فإن الإطار المكاني الذي تتموضع فيه "حويله" لن يخرج عن إطار الجزيرة العربية إذا اعتبرنا بأن موضعها فيما يخص النسق الكوشي يقع في مكان ما بالقرب من "دادان" التي ترد معها في نفس النسق - وفيه فقط - لتدلل مكانياً وبوضوح على منطقة واحة "العلا" شمالي غرب الجزيرة العربية أو أن يكون مرتبطاً جغرافياً أو إقليمياً بموضع "دادان" تلك بأي شكل كان⁽¹¹⁾.

وجنوبي غرب الجزيرة العربية فيما يخص موضعها بالنسق اليقطاني وفقاً لوضوح مماثلة عدد من أسماء قبائل ذلك النسق لأسماء قبائل وممالك يمنية قديمة كسبأ وحضرموت. أما عن نقطتي التحديد المكانيتين "ميشا" و"سفار جبل المشرق" فإن تحديدهما لا يزال محاطاً بغموض كبير.

على أنه وإن كان يجب علينا مراعاة ترتيب موقع حويله بين بقية القبائل في كل من النسقين النسبيين إلا أننا لسنا على ثقة تامة من أن ترتيب تلك القبائل والشعوب فيهما يعكس بالضرورة أيضاً نفسه مكانياً وفق الترتيب نفسه الذي عليه تلك القبائل مجاورة لبعضها البعض في سياقها النسبي ضمن ذلك المحيط المكاني المحدد.

❖ أما النسق النسبي الثالث الخاص بالقبائل من أبناء إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) فيأتينا من "الإصحاح الخامس والعشرين" من سفر "التكوين" (تكوين: 25) كالتالي:

(11) حول ارتباط دادان بواحة العلا شمالي غرب الجزيرة العربية أنظر على سبيل المثال:

anussari, ibid, 954-969. عبد الرحمن وأبو الحسن، حسين بن علي، العلا ومدائن صالح -

حضارة مدينتين، الرياض 2002، 45-12.

"وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان... وولد يقشان شبا ودادان... وهذه أسماء بني إسماعيل بن إبراهيم - بأسمائهم حسب مواليدهم نبايوت وقيدار وأدبيل ومبسام ومشماع ودومه ومسّا وحدار وتيما ونافيش وقدمه ويطور هؤلاء بني إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم... وسكنوا من حويله إلى شور التي أمام مصر حينما تجئ نحو آشور أمام جميع أخوته نزل"⁽¹²⁾.

وكما رأينا فإن "حويله" في هذا النص لا تدخل صراحة ضمن النسق النسبي الخاص بالقبائل من أبناء إبراهيم، والذي يشمل كلاً من سبأ ودادان، وإنما ضمن عملية التحديد المكاني لنسق إسماعيل بن إبراهيم النسبي الذي يجاورها والذي يوصف بأنه أقام أمام جميع إخوته بني إبراهيم ومنهم هنا سبأ ودادان. وبذلك فإن ورود ذكر حويله مع سبأ ودادان في نص هذا النسق النسبي مع تلازم ذكرها معهما معاً، وبنفس الرسم والحركات، في النسق النسبي الكوشي السابق ومع سبأ في النسق النسبي اليقطاني السابق ذكره أيضاً يدل على أن "حويله" هنا -كقبيلة- هي نفس "حويله" المذكورة في كلا النسقين النسبيين السابقين.

أما فيما يتعلق بتحديد المكاني وفق هذا النص فإن عدم دخولها صراحة ضمن النسق النسبي الخاص بأبناء إبراهيم واستخدامها فقط في عملية تحديد المحيط المكاني لقبائل ذلك النسق سيجر إلى ربط ما قد تعكسه "حويله" هنا من واقع مكاني بواقعها المكاني في كلا النسقين النسبيين السابقين الكوشي واليقطاني. على أن تحديد المكاني في هذا النص الذي يعد أكثر وضوحاً منه في كلا النسقين النسبيين السابقين - لكونها انتقلت فيه من جانب مجرد الإنحشاد ضمن التراص القبلي للنسق والبناء التقريبي للحدود المكانية وفقاً لترتيبه إلى جانب الموضوعة الجغرافية المباشرة - ، سيساعد أكثر في عملية الضبط المكاني لموقع "حويله" في كل من النسقين النسبيين السابقين.

لقد رأينا فيما سلف ذكره بأن "حويله الكوشية" كانت تنتظم مسبقاً مع "سبأ" و"دادان" في النسق النسبي الكوشي وأن ذلك يعني أيضاً تقاربها معاً مكانياً في موضع ما من شمال غرب الجزيرة العربية قرب "دادان". ثم وجدنا هنا في هذا

(12) الترجمة العربية للكتاب المقدس (مصدر سابق) 39، مع المقارنة بالمرجعين السابقين: (Brown: 1951)

(Davidson: 1974)

النص أن "سبأ" و"دادان" قد أدخلتا ضمن نسق بني إبراهيم في نفس الموضع المكاني الذي كانتا عليه سابقاً في النسق الكوشي بحكم بقاء ترابط "سبأ" مع "دادان" الثابت موضعها مكانياً كما أسلفنا. بينما أخرجت "حويلة" من نسق بني إبراهيم النسبي لتمام موضع مكانياً كنقطة قصوى في عملية التحديد المكاني لنسق بني إسماعيل بن إبراهيم الذي تبدأ النقطة الدنيا في تحديده فيما يعرف بمنطقة "شور" والتي كان يُعبر عنها - حسب أقدم الآراء - بـ "جبال الحجاز الشمالية"⁽¹³⁾ قريباً جداً من الموضع المكاني لسبأ و دادان. وبذلك فإن استخدام "حويلة" هنا كنقطة قصوى في عملية التحديد المكاني لذلك النسق يدل على ابتعادها مكانياً عن تلك النقطة الدنيا (شور/ جبال الحجاز الشمالية) في امتداد داخلي صوب المناطق الداخلية من جزيرة العرب،⁽¹⁴⁾ وبالتالي إبتعادها عن المواضع المكانية لسبأ و دادان وما حولها القريبة جداً من تلك النقطة الدنيا (شور)، وابتعادها بالتالي أيضاً عن المواضع المكانية للنسق النسبي الكوشي وعن "حويلة اليقطاني" و"حويلة اليقطانية". أي أننا نجد فيما يتعلق بحويلة في هذا النص بأنه بقدر ابتعادها مكانياً عن حويلة الكوشية بقدر اقترابها من حويلة اليقطانية المتلازمة في نفس النسق مع "أوفير"، والتي سبق وأوضحنا ترابطها مع حويلة أرض الذهب الواردة في سفر (التكوين: 2). ومن ناحية أخرى فإن إنتهاء المواضع المكانية لقبائل النسق الإسماعيلي في هذا النص بحويلة باعتبارها النقطة القصوى في تحديده المكاني، قد يجعل منها - أي حويلة هذه- فيما إذا كانت يقطنية، أكثر قبائل النسق اليقطاني ملاصقة لقبائل النسق الإسماعيلي، بل واتصالاً وتداخلاً معها بحكم قربها القريب منها.

ومجمل القول فإن التقصي الجغرافي التاريخي لمواضع انتشار قبائل النسق الإسماعيلي بين كلا نقطتي التحديد انطلاقاً من النقطة الجغرافية التحديدية الواضحة "شور" سيجعل من عملية الضبط المكاني للنقطة الأخرى في ذلك التحديد "حويلة" أكثر دقة ووضوحاً.

(13) تعرف شور عند المشتغلين بالتوراة بناءً على النص السابق بأنها تقع جنوبي أو جنوبي غرب فلسطين قبالة مصر (Brown, ibid. 1004). على أن ربط ذلك بما يورده ابن خلدون في تأريخه، بيروت 1979، ج 2، 39 نقلاً عن من أسماهم "أهل التوراة" من أن شور هي الحجاز يجعل من شور تلك بالتحديد - رفق وصفنا السابق - ذلك الجزء الشمالي الجبلي من بلاد الحجاز.

(14) تحتل قبائل النسق النسبي الإسماعيلي المتموضعة ما بين نقطتي التحديد السابقتين مساحات شاسعة من وسط وشمال غرب وشرق الجزيرة العربية كما سيتم إيضاحه لاحقاً فيما يلي من هذه الدراسة.

ويقف إلى جانب هذا النص نص توراتي آخر جاء في سفر (صموئيل/1: 15) يرد فيه: "وضرب شاوّل عماليق من حويله حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر"⁽¹⁵⁾، وذلك في سياق أحداث حدثت بين "شاوّل" ملك بني إسرائيل و"العماليق" كقبيلة. وتتخذ حويله في هذا النص كما رأينا نفس الوضع التحديدي الذي إتخذته في سفر (التكوين: 25) مع إملائه هنا لما بين النقطتين التحديديتين السابقتين بعنصر قلبي آخر هو العماليق يمكننا أخذه جنباً إلى جنب مع بقية تلك القبائل الإسماعيلية في النص السابق لتعزيز عملية الضبط الحدودي لحويله.

تلك هي نصوص العهد القديم المتضمنة لذكر حويله مع ما تعكسه منطقياً، وفقما قادتنا إليه تحليلاتنا السابقة لكل نص على حده، من ملاحظات ونقاط متعلقة بطبيعة العملية التحديدية لحويله في كل منها يتوجب علينا أخذها في الاعتبار حال استعراضنا فيما سيلي من صفحات هذه الدراسة لأراء الباحثين حول حويله وحال طرحنا أيضاً لوجهة نظرنا الخاصة فيما يتعلق بذلك.⁽¹⁶⁾

(15) الترجمة العربية للكتاب المقدس (مصدر سابق) 450، مع المقارنة بالمرجعين السابقين: (Brown: 1951; Davidson: 1974).

(16) ينبغي علينا أيضاً قبل ولوجنا في عملية التحقيق الجغرافي التاريخي المتعلق بموضوع الدراسة، الأخذ في الاعتبار بأن التوراة (العهد القديم) بأسفارها الخمسة الأولى المعروفة حالياً، والتي تنتمي إليها النصوص السابقة، لا تمثل في كل روائي مرحلة زمنية بعينها -بغض النظر حول صحة نسبتها إلى موسى (ص)-، حيث تؤكد العديد من الدراسات المحدثّة والتي تناولت بالمتحصيص والتحليل روايات التوراة والبحث عن مصادرها الروائية وبخاصة فيما يعرف بعلم المقدمة، بأن التوراة التي وصلتنا بالعبرية تتشكل من أربع مدارس روائية مختلفة زماناً ومكاناً، تغطي الثلاث الأولى منها زمنياً النصف الأول من الألف الأول ق-م تم فيها وضع جداول الأنساب السابقة من قبل أشخاص يقيمون في بيئة بدوية مجاورة لجزيرة العرب وعلى علم ومعرفة بأحوالها وقبائلها. أما المدرسة الرابعة والتي أكسبت تلك الروايات الحجم الكبير فهي مجموعة الشروح والتفسيرات المضافة على تلك النصوص والتي تمت على أيدي الكهنة الذين قاموا بإقحامها في سياق النصوص الأصلية السابقة، واستمرت تلك الإضافات والشروح حتى فترة متأخرة. ورغم بديهية الجزم بعدم علاقة تلك الأطرايح الأسبانية بالنص الإلهي في التوراة إلا أن إمكانية استخدامها علمياً، وفيما لن يخلو في كل الأحوال من النقد، في معرفة الجغرافيا التاريخية للقبائل والشعوب المذكورة بها في تلك المرحلة الموعلة في القدم علاوة على أهميتها كعمل أنسابي بما يحمله هذا التعبير من معان علمية يجعل من أهميتها كمصدر أمراً قائماً علمياً. أنظر فيما يتعلق بذلك على سبيل المثال: بريسند (مرجع سابق) 226، 235؛ تويني، أرنولد، تأريخ البشرية ج 1، ترجمة/ نفولا زيادة، بيروت 1988، 165-166، 175-176؛ التونجي (مرجع سابق) 25-28، 31، 35-40؛ هوك، صموئيل هنري، منعطف المخيلة البشرية، ترجمة/ صبحي هويدي، اللاذقية 1984، 98؛ طعيمة (مرجع سابق) 88-97، 161-163.

حويله في الترجمة السبعينية للعهد القديم وأعمال الكلاسيكيين

وخارجاً عن إطار النص التوراتي بما يشمله من الشروحات والتفسيرات التي تمت - كما أسلفنا - في مراحل التدوين الأسبق زمناً لنصوص التوراة وأدخلت ضمن متنها كجزء منها، فإن أقدم الاجتهادات التفسيرية المتميزة عن سياق تلك النصوص لما يرد فيها من أسماء الأماكن والشعوب تأتي من قبل دارسي وناسخي التوراة في المرحلة الكلاسيكية فيما يعرف بـ "الترجمة السبعينية" (Septuaginta) ثم في أعمال "يوسيفوس فلافيوس" (Josephus Flavius)، لتضع أمامنا تحديدتين مكانيتين آخرين لحويله يجمع بنا ذكرهما هنا إلى جانب تحديدها السابق في جزيرة العرب الذي يُشتَم من النصوص التوراتية السابقة ذاتها وبخاصة النسق النسبي اليقطيني منها.

والترجمة السبعينية للعهد القديم عبارة عن ترجمة يونانية لاحقة للعهد القديم عملت في الإسكندرية سنة (283 ق- م) بأمر من "بطليموس فيلادلفس"⁽¹⁷⁾، عرف عنها بإعادة تأويلها لنصوص التوراة من خلال إسقاطها التفسيري لنظرة عصر الترجمة على تلك النصوص، بحيث نجدها قد قامت وفقاً لذلك بتحديد النسق النسبي المنتمي لكوش برمته، بما فيه حويله الكوشية، في إثيوبيا أي إفريقيا حسب المفهوم اليوناني للكلمة⁽¹⁸⁾.

كما ينقل لنا ذلك أيضاً المؤرخ والقس الأسباني "بول أوروسوس" (Paulus Orosius)، المولود (375 - 380 م)، وفقاً لما تورده الترجمة العربية لكتابه "تأريخ العالم" التي وضعت في الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري، من أن "أويلا بن كوش" - أي حويلا/ حويله - هم الذين سكنوا صحراء إفريقيا وأنهم هم الذين يدعون "بطول"⁽¹⁹⁾.

(17) أنظر فيما يتعلق بذلك: التونجي (مرجع سابق) 33، وأنظر فيما يتعلق بالترجمة السبعينية أيضاً: ناظم، سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، 1988، 17-70. وكان القيام بذلك الترجمة في فترة لم يستكمل فيها بعد تدوين النص التوراتي كاملاً كما هو عليه الآن، والذي إنما أُستَم في فترة الموكابين في نهاية القرن الأول ق.م، وقد أصبحت تلك الترجمة فيما بعد هي المعتمدة في شرقي أوروبا، أنظر حول ذلك أيضاً: روبنز، د. هـ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة/ أحمد عوض، الكويت 1997، 93.

(18) أنظر: (Wiener, G., Beblisches Realwörterbuch zum Handgebrauch, Leipzig 1847, B. 1, 468-469).

(19) أنظر: أوروسوس، بول، تأريخ العالم (الترجمة العربية القديمة/ منتصف القرن الرابع الهجري)، تحقيق وتقديم/ عبد الرحمن بدوي، بيروت 1982، 87.

وينقل لنا ابن خلدون (ت: 808هـ) في تاريخه⁽²⁰⁾ ذلك الطرح عن أوروسيوس (=أهروشيوش مؤرخ الروم - على حد تعبيره-) بقوله بأن سبأ وأهل إفريقيا (يعني البربر) هم من حويله بن كوش ويسمى "يضول" - هكذا ، ويعقب ابن خلدون على ذلك بقوله "وهذا والله أعلم خطأ لأنه مر أن يضول في التوراة من ولد يافث". ثم قام ابن خلدون بعد ذلك، حال استعراضه للنسق النسبي الكوشي بالتوراة، بتحديد موضع "حويله" المكاني في ذلك النسق نقلاً عن ما أسماه بـ "تفسير التوراة" و "أهل التوراة" قائلاً بأن "حويله" هي نفسها "زويلة" وهم أهل "برقة"، أو بالتحديد "جنوبي برقة" من شمال إفريقيا⁽²¹⁾. ونقل القلقشندي (ت: 821هـ) عن ابن خلدون التحديد نفسه لحويله في كل من كتابيه "نهاية الأرب"⁽²²⁾ و "قلائد الجمان"⁽²³⁾. ومن الواضح أن ذلك التحديد إنما بني على أساس دخول "حويله" ضمن النسق النسبي الكوشي الذي تم ربطه مكانياً في الترجمة السبعينية بإفريقيا، مع العلم بأن أوروسيوس كان يقوم في كتابه السابق بالنقل من تلك الترجمة.

أما يوسيفوس فلافيوس (37- 95م) فقد وضع في كتابه "تأريخ اليهود"⁽²⁴⁾ كل النسق النسبي اليقطاني التوراتي مكانياً في "بلاد الهند والسند" أو "الهند فقط" وفقاً للمفهوم الجغرافي العريض الذي كان يعنيه ذلك الاسم آنذاك.⁽²⁵⁾

حويله في الدراسات الحديثة

عنى العديد من الباحثين المحدثين - كما أسلفنا - بالبحث عن موقع حويله مما يدخل ضمن عملية التحقيق في الجغرافية التاريخية لنصوص العهد

(20) أنظر: ابن خلدون (مصدر سابق) 2، 12.

(21) نفسه 2، 12.

(22) أنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت 1984، 39.

(23) أنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق وتقديم/ إبراهيم الأبياري، بيروت 1982، 33.

(24) أنظر: (Whiston, W., The Complete Works of Flavius-Josephus, Chicago 1901, 36).

(25) وبأخذ رأي يوسيفوس السابق طريقه نقلياً، وبصورة أكثر تطوراً، إلى الأدبيات العربية الإسلامية فيما بعد، لنجد الطبري يورد لنا في تاريخه، دار الفكر 1979، ج 1، 105 نقلاً عن هشام بن الكلبي عن أبيه محمد بن السائب الكلبي: "أن الهند والسند هم بنو نوحين (= يوفير/أوفير) بن يقطن بن عابر بن شالخ...". ورغم بقاء العلاقة هنا واضحة فيما بين المكان "الهند والسند" و "أوفير" اليقطانية كما هو الحال عند يوسيفوس إلا أننا نجد الصنعة الأسابية عند ابن الكلبي تتجلى في نسبته الهند والسند إلى أوفير كأب نسبي لها والمنتمي بدوره إلى يقطن مَحْماً إليها في خضم ذلك النسق اليقطاني.

القديم، على أن ورود حويله في كل تلك النصوص التوراتية المسبقة بنفس الرسم والحركات وما يوحيه ذلك من اعتبارها حويله واحدة، وتناقض ذلك (ظاهرياً) مع الأوضاع المتباينة التي تظهر بها حويله تلك في تلك النصوص كقبيلة تارة وفي أنساق نسبية مختلفة وكأرض تارة أخرى علاوة على تهيج ذلك التباين أكثر بتلك التأويلات الكلاسيكية السابق ذكرها، كل ذلك يجعلنا نقف أمام ثلاثة اتجاهات مختلفة تتقارب فيها الدراسات الحديثة بناءً على طبيعة فهم كل منها لذلك التجانس والتباين وانعكاسه بالتالي على وجهة النظر التي اتخذتها كل منها في العملية التحديدية لحويله، فهناك اتجاه يوضعها في إفريقيا واتجاه يجعل منها في أرض الهند واتجاه يحددها في جزيرة العرب، وينقسم أنصار الاتجاه الأخير إلى فريقين، فمنهم من يجعلها في شمال جزيرة العرب ومنهم من يجعلها في جنوبها.

ويجدر بنا بادئ ذي بدء أن نتعرف على تلك الرؤى المتباينة من خلال ما تورده الدراسات اللغوية المعجمية المتخصصة لنصوص العهد القديم حول ذلك، وذلك كالتالي:

❖ يربط "جرينيوس" (Gesenius)⁽²⁶⁾ أوجه التباين المكاني لحويله التوراتية بثلاثة مواضع مكانية يعكسها تباين ورودها في العهد القديم وإن كانت تحمل الاسم نفسه:

1. الأولى منها يضعها في الساحل العربي للخليج العربي بناءً على ذكرها ضمن القبائل اليعقانية في النسق النسبي اليعقاني في سفر (التكوين: 10).
2. الثانية منها يضعها في الساحل الإثيوبي (الإفريقي) بناءً على ورودها في النسق النسبي الكوشي في سفر (التكوين: 10) والذي سبق وأن قامت الترجمة السبعينية بوضعه برمته، بما فيه حويله، في إفريقيا.
3. الثالثة منها يضعها في الهند بناءً على ورودها في السفر التوراتي (التكوين: 2) كأرض تدعى أرض حويله وهي "حويله أرض الذهب". مع ربط تحديدها بالهند هنا بتحديددها في النقطة السابقة (1) على اعتبارها امتداداً للساحل العربي للخليج العربي، ويبدو أن ذلك التحديد تمخض عن علاقة ربط واضحة بين اشتراك كل من حويله أرض الذهب في سفر (التكوين: 2) و"أوفير أرض الذهب" - التي سبق وأن وضعها يوسفوس،

(26) أنظر : Gesenius, W., Hebräisches und chaldäisches Handwörterbuch über das alte Testament, Leipzig 1868, 273-274.

باعتبارها إحدى القبائل من أبناء يقطان، بأرض الهند - في مسألة الاشتمال على الذهب الجيد وبين احتساب يوسفوس المسبق لبقية الأسماء في النسق النسبي اليقطاني، المتلازمة مع أوفير والشاملة أيضاً لحويله، مكانياً على أرض الهند وإن كانت في هذه الحالة يقطانية.

❖ ويذهب "دافيدسن" (Davidson)⁽²⁷⁾ إلى تميز "حويله" بناءً فقط على تباين انتسابها في جداول العهد القديم في نسقين نسبين متباينين (الكوشي واليقطاني)، إلى اثنتين تحملان الاسم نفسه:

- الأولى، اليقطانية، ويربطها هي نفسها أيضاً بـ "حويله أرض الذهب" المذكورة في سفر (التكوين: 2).

- الثانية، الكوشية، ويضعها مكانياً وبصورة عامة - غير تفصيلية - في جنوبي الجزيرة العربية.

❖ أما "ديلمان" (Dillmann)⁽²⁸⁾ فإنه يرى بأنه وإن كان هناك تعدد مكاني لحويله وفقاً لذكرها ضمن النسقين النسبيين اليقطاني والكوشي إلا أن ذلك التعدد عبارة عن مستوطنات مكانية متباعدة لشعب عظيم واحد يحمل ذلك الاسم. أما حويله أرض الذهب التي ذكرت كأرض في سفر (التكوين: 2) فقد تكون في أي مكان منها.

ومجمل القول فإن العديد من تلك الدراسات الحديثة تنظر إلى "حويله" المذكورة في التوراة وفقاً لتشابهها في كل النصوص رسماً وحركة وتلازمها فيها مع أسماء تتكرر معها أيضاً في مواضع ذكرها - كسبأ مثلاً - باعتبارها حويله واحدة. وتستخدم تلك الدراسات في عملية التحقيق المكاني حول موضعها كل النصوص التوراتية التي ذكرتها وتعوضها بالكثير من الإشارات والدلائل النقشية والكلاسيكية والعربية الإسلامية. وغالباً ما نجد الباحثين أصحاب تلك الدراسات يقومون حال بحثهم عنها بالربط المكاني بين موقعها وبين موقع أوفير - التي ترد في النسق النسبي التوراتي كإحدى القبائل من أبناء يقطان - ذات الشهرة في التوراة والصيت الذائع بتجارة الذهب الذي عرف بها، أي "ذهب أوفير"، لاسيما أيام سليمان (عليه السلام)، (974 - 932 ق م)، "ملك يهوذا" الذي قام هو

(27) (Davidson, ibid. 250).

(28) (Brown, ibid. 296).

وحليفه الفينيقي أحيرام "ملك صور"، (970- 936ق م)، بإرسال السفن إلى أوفير - التي وردت هنا كإسم للموضع الذي كانت تبحر إليه تلك السفن- للتجار معها وبالتحديد لجلب الذهب وبعض السلع الأخرى كخشب الصندل والأحجار الكريمة في رحلة بحرية قطعت البحر الأحمر (بحر سوف في العهد القديم) من ميناء أيلة (عصيون جابر) على رأس خليج العقبة، وذلك وفقاً لما توردته الأسفار التوراتية: (الملوك الأول: 9، 10، 22؛ الأيام الثاني: 8، 9، 20). أما بعد ذلك فقد أصبح الإسم "أوفير" المرتبط بالذهب الجيد إنما يرد في الأسفار التوراتية (أشعيا: 13؛ المزمير: 15؛ الأيام الأول: 29؛ أيوب: 22، 28)، ولا سيما في سفر (أيوب: 22) منها، ليعني الذهب الأوفيري - الذهب الجيد - فقط وليس موضع أوفير بعينه.

ويرتكز العديد من أولئك الباحثين في عملية ربطهم بين كل من موضع "حويله" وموضع "أوفير" على مسألة ورودهما معاً في النسق النسبي اليقطيني، وعلى اعتقادهم بوجود علاقة جوار مكانية بينهما يعكسها ترتيب القبائل ومجاورتها لبعضها البعض في جداول الأنساب السابقة.

وعموماً فإننا إذا قمنا بوضع وجهة النظر البحثية الحديثة المتعلقة بتحديد موقع "حويله" في أرض الهند جانباً، وذلك لسبق وضوح استنادها -وفق ما أوردناه سلفاً- إلى ما كتبه "يوسيفوس"، فإننا سنجد بأن عملية التحقيق الجغرافي التاريخي حول موضع "حويله" في القسم الأكبر من تلك الدراسات الحديثة إنما تنحصر في إطار النطاقين المكانيين الكبيرين "إفريقيا" و"الجزيرة العربية" وبشكل خاص الأخيرة منهما.

أولاً: الاتجاه الخاص بتحديد حويله في إفريقيا

ويتمثل هذا الاتجاه في الدراسة الخاصة بـ "كين" (Keane)⁽²⁹⁾، الذي قام فيها بمحاولة تحديد "حويله" في إفريقيا، مستفيداً بالطبع مما سبق وأوردته الترجمة السبعينية عن جعلها بإفريقيا، ولكن هذه المرة ليس في شمالها وإنما في جنوبها الشرقي وبالتحديد في "روديسيا"، قائلاً بأن الحميريين -هكذا- كانوا

(29) حول رأي كين السابق أنظر دراسته: (Keane, A. H., The Gold of Ophir, London 1901)، إقتبسه: بكر، يعقوب، أوفير - ملحق بترجمته لكتاب "العرب والملاحة في المحيط الهندي" تأليف/ جورج فاضلو حوراني، الصفحات 116-170، القاهرة 1958، 127-135، وكذلك: (Peters, C., Im Goldland des Altertums, München 1902, 244-247).

أول من حضر مناجم الذهب القديمة بها وأنشأوا هناك ما يتصل بها من قلاع لاتزال آثارها باقية حتى الآن، ثم خَلَفَهُمْ في ذلك اليهود والفينيقيون أيام سليمان* (عليه السلام)، وأن الذهب كان يجلب من حويله - التي هي روديسيا في رأيه- لينقل إلى أوفير التي يرى بأنها ميناء "ظفار" القديم على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية والتي تسمى عند الرومان "بروتوس نوبيليس". وبذلك فقد كانت "أوفير" - حسب زعمه- مركزاً لتوزيع الذهب وسائر السلع الأخرى كالأحجار الكريمة المتجربة بها مع النبي سليمان (عليه السلام)، التي كانت تُجلب إليها من مصدرها الأصلي "حويله" أي روديسيا كما يراها "كين".

وتقع روديسيا بالقرب من ساحل المحيط الهندي، ويشتمل موقعها على نهري "الزميزي" و"اللمبوبو"، وتتموضع بين كلي النهرين منطقة "زمبابوية" التي تضم فيما تضمه أطلالاً لقلاع ومناجم قديمة⁽³⁰⁾ كان قد إكتشفها "رندرز" في عام 1868م. ثم زارها بعد ذلك "بنت" وفحصها وقال بأن العرب القدماء كانوا يستخرجون منها ذهباً وفيراً، وأن هؤلاء العرب المنقبين عن الذهب كانوا على صلة بكل من مصر وفينيقياً قبل العصر السبئي/الحميري كما يزعم⁽³¹⁾. ثم قام "بيترز" (Peters) فيما بين عامي 1899 و 1901م بعد بحوثه التي أجراها في تلك المنطقة بإرجاع تاريخ أطلال تلك القلاع والمناجم إلى الألف الثاني ق م من خلال رأي مفاده أنه كانت تقيم في تلك المنطقة منذ الألف الثاني ق م جالية من الحميريين سادوا المنطقة واستخرجوا الذهب من مناجمها وكذلك الأحجار الكريمة، بل وأنها هي "أوفير" المذكورة في التوراة التي إتجر معها سليمان (عليه السلام) مرسلًا سفنه إليها لجلب الذهب⁽³²⁾.

ويبدو أنه قد كان لما هيجته تلك الدراسات بخصوص غزارة إنتاج مناجم روديسيا قديماً بالذهب والأحجار الكريمة إلى حد المبالغة في الإشهار والإيغال في القدم ليتسق ذلك مع جعلها أوفير سليمان (عليه السلام) كما فعل بيترز، بالإضافة إلى جملة النصوص التوراتية التي تحكي عن ذهب حويله وعن دخولها

(30) أنظر فيما يتعلق بذلك الوصف الجغرافي: بكر (مرجع سابق) 127-135، وأنظر أيضاً المادة المتعلقة بزمبابوي في: الموسوعة الأثرية العالمية، تأليف 48 عالم آثار، إشراف/ ليوناردو كوتريل، ترجمة/ محمد عبد القادر محمد وزكي إسكندر، القاهرة 1977، 438-441.

(31) فيما يتعلق بأراء "بنت" و"رندرز" أنظر: بكر (مرجع سابق) 127-135، وكذلك أيضاً المادة المتعلقة بزمبابوي في: الموسوعة الأثرية العالمية (مرجع سابق) 438-441.

(32) حول رأي بيترز السابق أنظر دراسته: (Peters, ibid. 252-254).

بخاصة ضمن النسق النسبي الكوشي وما هو شائع عن ارتباطه المكاني بإفريقيا، كان لذلك كله دوراً كبيراً في صنع ذلك الرأي الذي خرج به "كين" من أن "حويله" هي "روديسيا" كركيزتين هامتين قام عليهما رأيه. أما فيما يخص ورود "حويله" في النسق النسبي اليقطيني أيضاً وما يعكسه من واقع مكاني مناقض لرأيه فيبدو أن "كين" قد حاول احتواءه - كما يُستشف من دراسته - من خلال محاولته التوفيق بين كلي النسقين النسبيين الكوشي واليقطيني اللذين تدخل حويله في كليهما متلازمة مع سبأ ومع سبأ وأوفير بربطه ذلك التلازم النسبي بينها (سبأ وحويله وأوفير) فيما عبر عنه بذلك الاحتكاك الناشئ عن تلك العلاقات التجارية المترابطة فيما بينها دون أن يكون ذلك بالضرورة انعكاس لمسألة جوار مكاني حقيقي.

وباختلال أي من الركيزتين السابقتين يسقط رأي "كين" السابق. لأن الفحوصات والحفريات الأثرية بروديسيا والتي قام بها كل من "ماك إيفر"، (1905م)، و"كيتون طمسون"، (1929م)، أثبتت أن تلك المباني والقلاع التي توهم "كين" بأنها من إنشاء الحميريين واليهود والفينيقيين لاستغلال مناجم الذهب، إنما تعود في أقدم تاريخ لها إلى القرن العاشر الميلادي، وما يليه حتى القرن السادس عشر الميلادي. وأنها في غالبيتها ذات طابع محلي. وأن العرب بعد القرن الثاني عشر الميلادي ثم البرتغاليين هم المسؤولون عن استغلال مناجم الذهب تلك حين نشط ميناء سفالة التجاري آنذاك⁽³³⁾. إن هذه النقطة وحدها كافية لنقض تلك الفرضية الخاصة بـ "كين" دونما خوض في بقية النقاط الأخرى التي تكفي كل واحدة منها منفردة لأن تدحضها.

أما الركيزة الأخرى الخاصة بورود "حويله" في النسق النسبي الكوشي على أساس ما قد يعنيه الانتساب لـ كوش من الانتماء المكاني لإفريقيا، فإننا نجد بأن جدول الأنساب الكوشي يُدرج مع "حويله" أيضاً "سبا/شبا" التي هي "سبأ"، و"دادان" التي هي "دادان"، وجميعها كما رأينا تقع داخل الجزيرة العربية. وطالما أن "كين" قد اعتمد على ذلك السياق النسبي الكوشي لتحديد المواضع المكانية كدعامة هامة يستخدمها منهجياً، فإن ذلك يقتضي منه أن يقوم بتعميم استخدامه

(33) أنظر فيما يتعلق بالبحثين الخاصين بـ ماك إيفر وكيتون طمسون دراستيهما: (Rondall-MacIver, D.,

Mediaeval Rhodesia, London 1906, 75, 83, 85-86, 101-102; Caton-Thompson, G., Zimbabwe, in:

Antiquity, vd. 3, (1929) 424-433. (مرجع سابق) 130-135؛ المادة الخاصة بزمبابوي في

الموسوعة الأثرية العالمية (مرجع سابق) 438-441.

المنهجي على كل ذلك النسق النسبي الكوشي، لا أن ينتزع منه ما يشاء فقط. فيا ترى أين كان سيضع مواقع تلك الشعوب والقبائل المتلاحمة مع "حويله" في نفس النسق النسبي الكوشي بإفريقيا؟

ثانياً: الاتجاه الخاص بتحديد لله حويله لله في الجزيرة العربية

ونبتدأ ذلك بالمقابلة التي أجراها "كارستن نيبور" (Carsten Niebuhr)، (1772م)، عضو البعثة العلمية الدانمركية التي زارت اليمن آنذاك، في كتابه المعروف "Beschreibung von Arabien"⁽³⁴⁾ وذلك بين "حويله" في النسقين النسبيين اليقطاني والكوشي، وكذلك بقية الأسماء الأخرى من أبناء يقطان وبين أسماء قبائل وأماكن يمنية في جنوبي غرب الجزيرة العربية معروفة لديه:

فحويله اليقطانية تقابل عنده قبيلة "خولان الطيال" (=خولان العالية في المصادر العربية الإسلامية) والواقعة بين مدينتي صنعاء ومارب. أما حويله الكوشية، التي هي عنده أيضاً حويله أرض الذهب، فهي تقابل قبيلة "خولان صعدة" الواقعة بمنطقة حقل صعدة وما إتصل به غرباً وشمالاً بغرب من سروات جبلية وأودية تهامية. وأما عن بقية أسماء القبائل من أبناء يقطان، فـ "حصراميث" تقابل عنده "حضر موت". ويقابل "أوزال" عنده الاسم القديم لمدينة صنعاء الذي هو "أزال" وفقاً لما سمعه من شخص ما عاش في اليمن سنوات طويلة. و"سبا" تقابل عنده Sabbia / سبية -هكذا-، "كاسم لإحدى القرى الواقعة في Banī Keis / بني قيس"، ثم يقابلها باسم الدولة اليمنية القديمة سبا المرتبطة عنده بمارب التي سمع عنها من أحد الأشخاص ومن خلال ما تورده الكتابات الكلاسيكية الخاصة بـ سترابون وبلينيوس. و"أوفير" تقابل عنده Qana / ميناء قنا القديم على ساحل البحر العربي. و"يوباب" تقابل عنده Banī Dsjobû / بني جبوب -هكذا- "في كسمة. أما الاسم يقطان نفسه فهو يقابله بالاسم Kachtan / قحطان -هكذا-، والذي هو عنده اسم لإحدى المدن في حضر موت.

ورغم ما يعكسه الطرح السابق لنيبور من عفوية وبساطة في طريقة جمعه للمعلومات بعيداً عن الأسلوب المنهجي المتخصص. وتلقائيته في ربط بني يقطان مكانياً، باعتبارهم قوم ساميين، بجزيرة العرب، وكذلك تلقائيته في تلمس

(34) أنظر كتابه السابق: (Niebuhr, C., Beschreibung von Arabien, Kopenhagen 1772, 291-293).

التشابه اللفظي بين تلك الأسماء - باستثناء أوفير - فيما يقوم فقط على مجرد الحدس اللغوي البديهي المبتعد عن التفصيل المتخصص، إلا أننا نجد، وفيما يعاصره زمناً أولييه مباشرة، بأن إثنين من عليّة المتخصصين قد تابعاه في ذلك وهما: "بوشينج" (Büsching)⁽³⁵⁾ و"ريتر" (Ritter)⁽³⁶⁾، دون تقديم ما يعضد وجهة النظر تلك بدلائل أخرى.

ثم نجد اختلافاً واضحاً بين الباحثين بعد ذلك حول تحديد موقع "حويله" داخل جزيرة العرب منقسمين في ذلك إلى فريقين: فريق نجده يحيد عن تحديد نيبور السابق ويقوم بتحديد موقعها في النطاق المكاني الشرقي/الشمالي الشرقي من جزيرة العرب، وفريق آخر نجده يتابع رأي نيبور مدعماً ذلك الرأي بأدلة أخرى جانبية كثيرة.

الفريق الأول:

وهو يجعل موقع "حويله" في شرق وشمال شرق الجزيرة العربية في متابعة واضحة للنقطة (3) لجزيينوس، ولكن هذه المرة بقصد تقريبها المكاني من موضع "أوفير" بناءً على ما يعكسه تجاورها معها في جداول أنساب العهد القديم. على أن موضع "أوفير" الذي إنطلقوا منه في تحديدهم التقريبي لحويله كان ثابتاً مكانياً في نظرهم ليعني موضعاً ما على الساحل الغربي للهند والسند وفقاً لتلك الرؤية القديمة الخاصة بالمؤرخ اليهودي "يوسيفوس فلافيوس" التي وضع فيها "أوفير" أرض الذهب في الهند، والتي ترسخت فيما بعد شيئاً فشيئاً لترجم "أوفير" في الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس بأنها الهند⁽³⁷⁾. وزاد من ترسيخها في العصر الحديث أيضاً قيام "لاسن" بالمناداة بتلك النظرية وتابعه في ذلك "رينان" ثم "هورتل" بقوله بأن "أوفير" لم تكن إلا سوقاً عظيمة على الساحل الغربي للهند، كان التجار يجلبون إليها الذهب من مناجم حيدر أباد والتوابل والأخشاب من مالابار والجواهر من سيلان، مستنداً في ذلك إلى القول بأن تلك السلع التي كانت تجلبها سفن سليمان من أوفير غير متوفرة في الجزيرة العربية

(35) (Büsching, A., Neue Erdbeschreibung, Seit 1754, V 577).

(36) (Ritter, C., Erdkunde, Arabien I, 1846, 193. 716).

(37) عن كتابتها "الهند" في الترجمة اللاتينية أنظر: (Brown, ibid, 20-21)، وكذلك أيضاً: بكر (مرجع سابق) 120. وتحمل الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس الاسم "Vulqata"، قام بكتابتها القديس "هيرونيموس" (Hieronymus) حوالي (340-420م)، وهي الترجمة المعتمدة في غربي أوروبا عند الكنيسة الكاثوليكية، أنظر حول ذلك: (Davidson, ibid. „Preface“)، وكذلك: بكر (مرجع سابق) 120. وأنظر عنها أيضاً وعن عدم تحريها الدقة اللفظية في الترجمة كلمة بكلمة: روبنز (مرجع سابق) 107-127.

- حسب اعتقاده- وإنما في الهند، ومستنداً أيضاً إلى الفترة الزمنية التي كانت تقطعها سفن سليمان كما ترسمها نصوص العهد القديم في رحلتي الذهاب إلى "أوفير" والعودة وهي ثلاث سنوات، وهي في رأيه مدة أطول مما يجب فيما لو كانت الرحلة إلى جنوب الجزيرة العربية⁽³⁸⁾.

وبناءً على ذلك فقد ذهب "دليتتش" (Delitzsch)⁽³⁹⁾ إلى القول بأن "حويله" هي المنطقة المتضمنة للصحراء السورية والملاصقة للحدود البابلية في امتداد جنوبي حتى الخليج العربي، مُقَرِّباً موضعها من موضع أوفير السابق. ثم أعقبه "جلازر" (Glaser)⁽⁴⁰⁾ والذي حدد "حويله" بأنها المنطقة الجبلية (الهمضية) من اليمامة مع امتداداتها إلى الشمال الغربي وإلى الجنوب الغربي وأيضاً ذلك الإقليم من اليمامة والقصيم المقابل لشمال الخليج العربي. ويصوره أكثر دقة قصد بها المنطقة الوسطى والمناطق المحاذية لها إلى جهة الشمال الشرقي للجزيرة العربية، معتبراً أن "حويله" في كل مواضع ذكرها في التوراة، إنما تعني "حويله" مكانية واحدة هي هذه. واعتقد بناءً على ذلك بأن منطقة "أوفير" هي المنطقة الساحلية المجاورة لحويله، حسب رسمه لها، من الشرق ليعني بذلك ساحل الخليج العربي من بدايته الشمالية وباتجاه جنوبي حتى رأس مسندم، مدلاً على صحة موقعها بأن أوفير تذكر في جداول أنساب العهد القديم بين شعوب عربية خالصة، ثم يردف ذلك بالقول "ولكن هذا لا يمنع وجود أوفير أخرى غير عربية شرقي الخليج العربي بل في الواقع أن أوفير في معناها الواسع كانت تشمل الساحلين الشرقي والغربي من الخليج العربي" مدلاً على ذلك بعدة أسماء مواضع تقع شرقي الخليج العربي تقارب من حيث اللفظ للكلمة "أوفير".

أما "هومل" (Hommel)⁽⁴¹⁾ فإننا نجده يطرح تحديداً مماثلاً لتحديد "جلازر" السابق وبخاصة فيما يتعلق بموضع "أوفير"، وعلى نحو مقارب فيما يتعلق بموضع "حويله"، حيث يفترض بأن نهر "فيشون" في سفر (التكوين: 2) المطوّق لـ "حويله" أرض الذهب هو نفسه وادي الدواسر⁽⁴²⁾ الذي يتشكل مجراه من

(38) أنظر فيما يتعلق بآراء كل من لاسن ورينان وهورتل: بكر (مرجع سابق) 121-124، وكذلك: (Brown, ibid. 20-21).

(39) أنظر: (Delitzsch, F., Wo lag das Paradies? Biblisch-assyriologische Studie, Leipzig 1881, 71).

(40) أنظر: Glaser, E., Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens von den ältesten Zeiten bis zum Propheten Mu'ammad, B. 2, Berlin 1890, 323-324, 369, 377, 424, 436-438, 456, 459.

(41) أنظر فيما يتعلق برأي هومل: Grohmann, A., Südarabien als Wirtschaftsgebiet, Teil I, Osten und Orient B. 4, Wien 1922, 171.

(42) أنظر عن نظرة هومل تلك: نلسن، هومل، جروهمان، رودنكايس، التأريخ العربي القديم، ترجمة/ فؤاد حسنين، القاهرة 1958، 63-64؛ صالح، عبد العزيز، تأريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة 1988، 51-52.

مجموعة من الروافد والأودية الكبيرة التي ترفده مُهراقة أساساً من سلسلة جبال عسير. ويندفع ذلك الوادي في وسط جزيرة العرب منتهاً شرقاً برمال الربع الخالي⁽⁴³⁾. وتُعرّف المصادر العربية الإسلامية تلك المنطقة التي يشتملها مجراه بـ "أرض العقيق" مع ذكر لبعض مواطن الذهب هناك⁽⁴⁴⁾.

إن تمطيط "جلازر" لحدود أوفير شرقاً بالتدريج نحو موقعها الذي رسم مسبقاً على الساحل الغربي للسند والهند يدل على أنه قد اتخذ من ذلك التحديد المكاني المسبق لأوفير نقطة ارتكاز في عملية تحديده المكاني لموقع "حويله" الذي ينبغي أن يكون مجاوراً لأوفير حسب تجاورهما في أنساق أنساب العهد القديم. وبالإضافة إلى ذلك فقد ارتكز "جلازر"، ومن تبعه، في تحديد موقع "حويله" أيضاً على السفر التوراتي (تكوين: 2) الذي يصف "حويله" بأنها موطناً للذهب الجيد مستعيناً في رسم حدودها المكانية على تقصيه لأماكن انتشار معدن الذهب في الجزيرة العربية كما تصفها المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية التي تُدخل من ضمنها المنطقة الهضبية الوسطى والشمالية الشرقية من الجزيرة العربية (في اليمامة والقصيم/ حائل) ليتوقف انتشار معدن الذهب شرقاً وشمال شرق بتلك المنطقة⁽⁴⁵⁾.

ومع أن مواضع معدن الذهب كما تصفها تلك المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية تنتشر أيضاً وبغزارة في المناطق الغربية والجنوبية الغربية من

(43) أنظر فيما يتعلق بالوصف الطبوغرافي والهيدرولوجي لوادي الدواسر: أبو العلا، محمود طه، جغرافية شبه الجزيرة العربية، جـ2 "جغرافية المملكة العربية السعودية"، القاهرة 1975، 100-102؛ الزوكة، محمد خميس، الاستغلال الزراعي وضوابطه في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، كلية العلوم الاجتماعية (2)، الرياض 1978، 189-194، 205-207؛ زارينس، يوريس وآخرون، التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى (1978)، أطلال 3، قسم 1، 9-10؛ زارينس، يوريس، وآخرون، التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية (1979)، أطلال 4، قسم 1، 11.

(44) أنظر فيما يتعلق بذلك: جين، هيك، تعدين الذهب في جزيرة العرب، العرب جـ1/ 2، س 33، الرياض 1997، 52؛ خميس، عبد الله بن محمد، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية/ معجم اليمامة، الرياض 1980، جـ1: 446-448.

(45) أنظر: (Glaser, ibid. 323-324). وفيما يتعلق بالمواضع الذهبية التي تذكرها المصادر العربية الإسلامية في ذلك النطاق المكاني أنظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، لندن 1889، 128، 131؛ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق/ محمد بن علي الأكرع، صنعاء 1990، 225، 232، 233، 267؛ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، الجوهريتين العتيقتين، تحقيق/ كريستوفر تول، إشراف وترجمة/ يوسف محمد عبد الله، صنعاء 1985، 122-124. وأنظر فيما يتعلق بالتحقيق والتحديد المكاني لتلك المواضع الذهبية التي تذكرها المصادر السابقة في ذلك النطاق المكاني: جين (مرجع سابق) 34-52؛ زارينس وآخرون، 1979 (مرجع سابق) 11، 28-29؛ خميس (مرجع سابق) 446-448؛ العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد القصيم، الرياض، جـ 6، 2425-2435.

الجزيرة العربية إلا أنهم أخذوا بعين الاعتبار مسألة ما تعكسه جداول الأنساب التوراتية من ضرورة التجاور المكاني بين "حويله" و"أوفير" مع ثبات موقع أوفير في نظرهم في مكان ما من الساحل الغربي للهند والسند وفق الرؤية السابقة التي أسسها "يوسيفوس" في القرن الأول الميلادي. كل ذلك جعل "جلازر" ومن تبعه يرحزون موقع "حويله" موطن الذهب نحو أماكن انتشار معدن الذهب في وسط وشمال شرق الجزيرة العربية قدر الإمكان، لتكون قريبة من موقع "أوفير" الثابت عندهم مسبقاً في الساحل الغربي للهند والسند، دون تخطي تلك المنطقة شرقاً إلى السهل الساحلي للخليج العربي المتصل بها. وهذا يفسر لنا سبب التزام "جلازر" ومن تبعه بتلك الحدود الشرقية الصارمة لحويله دون تمطيطها شرقاً في السهل الساحلي. لقد التزموا بأقصى نقطة شرقية ممكنة لانتشار معدن الذهب في الجزيرة العربية تقترب شرقاً من موقع أوفير الثابت في نظرهم بالساحل الغربي للهند والسند دون استطاعتهم تمطيطها أكثر شرقاً في أماكن غير ذهبية بالسهل الساحلي للخليج العربي حتى لا ينقضوا ذلك الشرط التوراتي الذي يجعل من "حويله" موطناً للذهب. لذلك فقد اضطروا إلى احتساب ما اتصل بها من السهل الساحلي ضمن "أوفير". ولأن أوفير حسب الرؤية السابقة إنما تقع على السهل الساحلي الغربي للهند والسند فقد اضطروهم ذلك إلى احتساب ساحلي الخليج ضمن أوفير. ومن جانب آخر فقد جعلهم ذلك يتخلون عن المواضع الأخرى التي ينتشر فيها معدن الذهب في غرب وجنوب غرب الجزيرة العربية.

الفريق الثاني:

لم تلبث تلك الرؤية العتيقة، التي تضع "أوفير" في مكان ما من الساحل الغربي للهند والسند، أن تعرضت للنقد اللاذع خاصة من كل من "شبرنجر" (Sprenger)⁽⁴⁶⁾ و"موريتز" (Moritz)⁽⁴⁷⁾ اللذين تابعا "نيبور" في رأيه المتعلق بالمقابلة بين "حويله" و"خولان"، إذ أن السفن في عصر سليمان كانت أضعف من أن تتجاوز مضيق باب المندب. أما ما يتحجج به أنصار الرأي السابق من طول الفترة التي كانت تقطعها سفن سليمان جيئةً وذهاباً إلى "أوفير" والتي هي ثلاث سنوات حسبما تورده بعض نصوص العهد القديم، فيرى "شبرنجر" أنها من وضع

(46) أنظر : Sprenger, A., Die alte Geographie Arabiens als Grundlage der Entwicklungsgeschichte, Bern 1875, 57, 58, 59 105.

(47) أنظر : Moritz, B., Arabien, Hannover 1923, 86.

رواية متأخرة، كما أن إدراج "أوفير" ضمن النسق النسبي اليقطاني، يقتضي أن تكون في الجزيرة العربية وليس في الهند. ويستند "شبرنجر" في ذلك أيضاً على القول بأن بضائع "أوفير" المذكورة في التوراة كالذهب والحجارة الكريمة سلعتان عربيتان كما يؤخذ من المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية بالإضافة إلى بعض السلع الأخرى. وبذلك فإن دخول النصف الغربي من الجزيرة العربية ضمن أماكن انتشار معدن الذهب بها وفقاً لما تحكيه تلك المصادر، علاوة على الطبيعة البحرية لرحلة سفن سليمان التجارية عبر البحر الأحمر، قد جعل كلاً من "كيتل" (Kittel)⁽⁴⁸⁾ و"نواك" (Nowack)⁽⁴⁹⁾ ثم "توتشل"⁽⁵⁰⁾ وأخيراً "موريتز"⁽⁵¹⁾ و"مونتجومري" (Montgomery)⁽⁵²⁾ يفترضون موقع منطقة الذهب تلك المرتبطة بتلك الرحلة "أوفير" في مكان ما من غربي الجزيرة العربية وبالذات في الجانب الجنوبي الغربي منها، مع اعتمادهم في عملية استبعاد المناطق الشمالية الغربية منها من ذلك التحديد، على طبيعة تلك الرحلة (وفقاً لموريتز)⁽⁵³⁾. فمع أن تلك المناطق حيث "دادان" و"مدين" تشتمل أيضاً على بعض مواضع الذهب - وخاصة مدين - إلا أنها وبحكم قربها من بلاد الشام لا تستدعي شرط الاتصال البحري معها والذي يمكن أن يتم براً وفي مدة قصيرة جداً. كما أن أقدم تأريخ لاستغلال مناجم الذهب في "مدين" إنما يرجع إلى القرن الرابع ق- م، وهو تأريخ يتأخر كثيراً عن تأريخ تلك الرحلة.

ومن جانب آخر فإن تخلخل ما كان يُعتقد من ثبات موقع "أوفير" على الساحل الغربي للهند والسند كان له دور كبير في خلخلة تحديد موقع حويله أرض الذهب في شرقي الجزيرة العربية والذي إنما هدف أساساً إلى قصد تقريبها المكاني قدر الإمكان من موضع "أوفير" السابق بالهند، مع التغييب (قدر الإمكان أيضاً) لعملية توخي تحقيق الشرط المكاني لوجود الذهب في "حويله" بناءً على نص سفر (التكوين: 2) في ذلك القصد، لينتقض بذلك شرط تلازمها مع أوفير في ذلك الموضع وليُفسح المجال لتحويل النظر في عملية البحث عنها صوب بقية

(48) أنظر : (Kittel, R., Geschichte der Hebräer, Gotha 1872, B. 2, 163).

(49) أنظر : (Nowack, W., Lehrbuch der hebräischen Archäologie, Freiburg/Leipzig 1894, B. 1, 248).

(50) أنظر فيما يتعلق برأي توتشل: جين (مرجع سابق) 49، 50.

(51) أنظر : (Moritz, ibid. 89-90).

(52) أنظر : (Montgomery, J., Arabia and the Bibel, Philadelphia 1934, 39).

(53) أنظر : (Moritz, ibid. 89-90).

أماكن انتشار معدن الذهب في الجانب الغربي من جنوب الجزيرة العربية، والذي قد يكون أكثر تحقيقاً لمجمل تلك الشروط التوراتية المرتبطة بحويله أرض الذهب في سفر (التكوين:2) من شرقي الجزيرة العربية، وهي مناطق تتضمن "خولان صعدة"، ليعود بنا ذلك مجدداً إلى الطرح الخاص بكارستن نيبور في مقابلته "حويله" بـ "خولان".

ويكتفي "شبرنجر" بتحديد حويله أرض الذهب بخولان صعدة دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن "أوفير" والتي يرى بأنها لا تعبر عن أي إطار مكاني كاسم له، بقدر اعتبارها مجرد لفظة ترد كصفة أو كاسم لذلك الذهب المستخرج من أي مكان كان والذي يتميز بالذات بلونه الأحمر لتعني ذلك اللون الأحمر ذاته والذي لا يزال يُدلل عليه في بعض اللهجات العربية الجنوبية الحديثة وبالتحديد في "المهرية" باللفظة "أعفر" المقاربة لفظاً لـ "أوفير". كما أن المصادر الكلاسيكية تعبر عن الذهب الطبيعي الصلب الذي لا يحتاج إلى تنقيته بالنار باللفظة "أبيرون" (ἀπύρον) والتي يرى بأنها هي نفسها اللفظة "أوفير" (54). ويختلف معه "جلازر"، صاحب التحديد المكاني السابق لحويله، فيما يتعلق بتفسير اللفظة الكلاسيكية "أبيرون". فمع أنه يوافق "شبرنجر" في رأيه السابق بأن تلك اللفظة التي أوردتها المصادر الكلاسيكية معبرة بها عن الذهب الجيد الأحمر هي نفسها اللفظة "أوفير"، إلا أنه يرى عدم وجود أي علاقة بينها وبين اللفظة العربية الجنوبية المهرية "أعفر" التي تدل على معنى الحمرة المجردة مُناقضاً بذلك لـ "شبرنجر" في اعتباره الكلمة "أوفير" مجرد لفظة دالة منذ البداية على ذلك الذهب الجيد الأحمر فقط. وقال جلازر بأن تلك الكلمة "أوفير" - أي "أبيرون" فيما بعد في المصادر الكلاسيكية - كانت تعني في البداية حقاً موضعاً مكانياً لأوفير ولكن علاقتها بتلك المنطقة كاسم يطلق عليها قد زالت بعد ذلك مع بقاء ارتباطها فقط بذلك الذهب الجيد المحمر لتصبح اسماً يطلق عليه بشكل عام (55). لقد حاول جلازر التشبث برأيه السابق حول موضع "حويله" وإقصائها عن النطاق الجنوبي الغربي وتدعيمه لذلك التحديد المكاني، استكمالاً للشرط التوراتي المتعلق ببقية منتجات "حويله" أرض الذهب التي لا تتوفر في موقعه ذاك إلى جانب الذهب كالأحجار الكريمة، بقوله بأنها - أي

(54) أنظر : (Sprenger, ibid. 56-57).

(55) أنظر : (Glaser, ibid. 353, 377).

الأحجار الكريمة- كانت تُجلب من اليمن إلى حويله (حسب تحديده)، وهناك يعاد بيعها مرة أخرى مع الذهب والسلع الأخرى⁽⁵⁶⁾. إلا أن تحديد "جلازر" للمواضع الذهبية التي يجلب منها الذهب "أبيرون" في تلك النصوص الكلاسيكية - ويشكل مستقل عن نظريته السابقة لموقع حويله وأوفير- قد جعله يضع قدميه في جانب من نفس النطاق المكاني الذي وضع فيه "شبرنجر" مسبقاً حويله أرض الذهب (خولان صعدة)؛ أي في بلاد عسير وحول منطقة حلي منها بالذات⁽⁵⁷⁾.

لقد اعتمد كل من "شبرنجر" و"جلازر" في ذلك التحديد - بالإضافة إلى الاعتبارات السابقة- على التركيز المكثف لانتشار معدن الذهب الجيد المحمر وفقاً لما تورده المصادر العربية الإسلامية خاصة الهمداني⁽⁵⁸⁾ (ت. ح: 350هـ) ضمن الإطار المكاني لذلك الجانب من السروات الغربية المرتفعة المتصلة بتهامة فيما يعرف حالياً وفي المصادر العربية الإسلامية المحلية المتأخرة بمنطقة أو بلاد عسير الواقعة جنوبي خط العرض (20) شمالاً والمتصلة من شماليها ببلاد الحجاز، ومن شرقيها ببلاد نجد -أي النجد الجنوبي المتصل شرقاً بوادي الدواسر- ، ومن غربيها بالبحر الأحمر، ومن جنوبيها ببقية امتداد بلاد صعدة في الجبال وبلاد حرص وميدي في تهامة⁽⁵⁹⁾. ومن ثم قيامهما بالربط بين ذلك الذهب الجيد المحمر الكثيف الانتشار وفق ذكره في المصادر العربية الإسلامية، وبين كل من: ذهب "حويله" الجيد المذكور في سفر (التكوين: 2) فيما يتعلق بـ "شبرنجر"، والذهب الجيد الطبيعي الصلب المحمر الذي يذكر في المصادر الكلاسيكية باسم "أبيرون" = أوفير فيما يتعلق بـ "جلازر"، مع وضع ما ذكرته المصادر الكلاسيكية من تحديدات مكانية لمواضع انتشار ذلك الذهب (أبيرون) ضمن النطاق الجغرافي المكاني الخاص بتلك المنطقة.

ولإيضاح ذلك أكثر فإننا نجد بأن ذكر ذلك الذهب الجيد الطبيعي الصلب (أبيرون) في المصادر الكلاسيكية قد ورد عند كل من "أجاثارخيدس" (Agatharchides)، الذي عاش حوالي القرن الثاني ق- م، و"سترابون"

(56) أنظر: (Glaser, ibid. 69).

(57) أنظر: (Glaser, ibid. 69).

(58) أنظر على سبيل المثال: الهمداني جوهريتين (مصدر سابق) 124-122.

(59) فيما يتعلق بذلك التحديد الجغرافي لعسير أنظر: الإراني، مطهر. الوادعي، أحمد، مادة "عسير" في الموسوعة اليمنية، بيروت 1992، ج 2، 654.

(Strabon)، (66 ق.م - 24 م)، ضمن سياق وصفهما المكاني للمناطق المشتمة عليه والواقعة بين بلاد الأنباط شمالاً وبلاد السبئيين جنوباً. حيث يوردان أنه يوجد في بلاد "دباي" (Δέβαι) نهر يجرف معه الذهب، ويذكر أن جيرانهم الذين يسمون الـ (Αλλυατοι) والـ (Casani) كانوا ينقبون بحثاً عن الذهب في مناجم تحت الأرض ويعثرون على ذهب خالص يطلق عليه اليونانيون الاسم أبيريون (ἀπυρον)، ويصف سترابون ذلك الذهب بأنه ليس على هيئة غبار بل على هيئة كتل لا تتطلب الكثير من التنقية وأن أصغر قطعة منها بحجم نواة الفستق والمتوسطة بحجم حبة اللوز أما أكبر قطعة منها فبحجم حبة الجوز⁽⁶⁰⁾.

كما يذكر "بلينيوس" (Plinius)، (23 - 79 م)، وجود منجم للذهب في (Litus Mamaeum)⁽⁶¹⁾. ويظهر من خلال سردي كل من "أجاثرخيدس" و"سترابون" المتعلق بنوعية ذلك الذهب وأماكنه ووضعها جغرافياً بين بلاد الأنباط وبلاد السبئيين التقارب الشديد بين وصفيهما. وعلينا أن نأخذ في الاعتبار فيما يتعلق بعملية التحديد المكاني لدى إقتراب كل من "سبأ" و"الأنباط" مكانياً من بعضهما البعض بأن "سترابون" يقوم حال سرده للأماكن التي عبرتها الحملة الرومانية الفاشلة على اليمن أثناء رحلة العودة إبتداء من "نجران" جنوباً قرب المحيط المكاني السبئي وحتى ميناء "نجران" (أو "أجرا") شمالاً والتي قد تكون -حسب ما يراه أغلب الباحثين- ميناء "ينبع" أو "الجار" قرب "المدينة" وهما متقاربان⁽⁶²⁾، يقوم باحتساب ذلك الميناء "نجران" ضمن بلاد الأنباط⁽⁶³⁾ معطياً بذلك لبلاد الأنباط بعداً جغرافياً واسعاً يمتد جنوباً ليشمل الجزء الشمالي من منطقة الحجاز حتى تلك النقطة "نجران". وإجمالاً فإن ذلك يقرب مواضع الذهب تلك المحصورة بين بلاد الأنباط شمالاً والسبئيين جنوباً من نفس مواضع الذهب السابقة المذكورة في المصادر العربية الإسلامية والمشتمة على نفس ذلك الذهب الغزير والعالي الجودة المشاكل لذهب أبيريون ضمن نطاق بلاد عسير اليوم. وبذلك فقد تم البحث عن مواضع الذهب تلك

(60) أنظر تلك المادة الكلاسيكية عند: (Grohmann, ibid. 173).

(61) (Grohmann, ibid. 173).

(62) أنظر ذلك التحديد الخاص بـ نجران عند: باقيه، محمد عبد القادر، تأريخ اليمن القديم، بيروت 1985، 75؛ الجرو، أسهمان، موجز التأريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، إربد 1996، 199؛ الجاسر، حمد، بلاد ينبع، الرياض، 46-47.

(63) أنظر: (Strabo, Geographica, Übersetzung von/ A. Forbiger, Wiesbaden 2005, 1098).

المذكورة في المصادر الكلاسيكية السابقة في ذلك النطاق المكاني نفسه، حيث حدد "جلارز" كلاً من (Casani) و (Ἀλλοιοι) في منطقة "حلي" و"القنفذة" - مع الأخذ في الاعتبار التشابه اللفظي الطفيف فيما بينها. أما دبائي (Δέβαι) التي ترد في تلك النصوص مجاورة لكل من المكانيين السابقين فيرى "جلارز" أنها تقع بينهما⁽⁶⁴⁾، وهي كلها كما رأينا مناطق تقع في شمالي غرب بلاد عسير. ويترك جلارز تحديده لتلك المناطق المرتبطة بذهب "أبيرون" في المصادر الكلاسيكية جاهزة مجهزة ليأتي فيما بعد "موريتز" ويجعل منها هي ذاتها منطقة "أوفير" المرتبطة عنده برحلة سفن سليمان⁽⁶⁵⁾، أي أن تحديد "جلارز" مواضع تلك المناطق المرتبطة بذهب "أبيرون" في المصادر الكلاسيكية في الأجزاء الشمالية من بلاد عسير قد صرف النظر تبعاً لذلك فيما بعد في عملية التحقيق المكاني عن منطقة الذهب المرتبطة برحلة سفن سليمان التوراتية صوب تلك الأجزاء الشمالية منها والتخلي عن الأجزاء الجنوبية من بلاد عسير تلك بما يدخل فيها ويتصل بها من بلاد خولان الشمالية (خولان صعدة) التي سبق وأن اعتبرها "شبرنجر" كما أسلفنا بلاد "حويله" أرض الذهب مع اختزاله مكانياً لـ "أوفير" في معناها عنده كاسم يعبر عن الذهب الجيد هو نفسه المسمى "أبيرون" في المصادر الكلاسيكية.

إلا أن الأجزاء الجنوبية من ذلك النطاق المكاني لتواجد الذهب وعلى نفس امتداد تلك السروات الغربية المرتفعة فيما يشتمل على بلاد خولان الشمالية، يعد ذهبها أيضاً أكثر غزارة وجودة واحمراراً وشهرة منه في بقية أجزائها الشمالية السابقة. كما أننا نجد، علاوة على ما تحويه من عدد كبير من مواقع الذهب الجيد وفقاً لما أوردته عنها المصادر العربية الإسلامية وبخاصة المتعلقة منها بالهمداني، تضم أيضاً أفضل وأهم معادن الذهب على الإطلاق وهو معدن "القفاعة/ البار" الذي يذكره الهمداني في كتابه الجوهريتين العتيقتين بقوله: "ومعدن القفاعة من أرض [الحرية] من خولان، وهو بالقرب من الخصوف مدينة حكم وقد يدعى معدن البار والبار في أعلى وادي خلب وادي الخصوف وهو خير المعادن جميعاً وأقلها وضوحة وأشدّها حمرة"⁽⁶⁶⁾. ويذكر الهمداني في كتابه الصفة ذلك المعدن ضمن سلسلة المرتفعات الجبلية المعروفة بـ "سراة خولان"

(64) أنظر: (Glaser, ibid. 29).

(65) أنظر: (Moritz, ibid. 85, 86, 110).

(66) الهمداني جوهريتين (مصدر سابق) 123.

بقوله بعد ذكره لظاهر تلك السراة مما يلي صعدة غرباً، وبحسب ترتيبها من الجنوب إلى الشمال: "ومن وسطها وغورها -أي سراة خولان- أرض ساقين وحيدان وشُعْب وشُعْب حي وحرجب وأرض الشرو ومران والقفاعة والبار وخبب وجحفان وعرامي وغرابق وعراش ووُسحة وغيلان ودفا وقيوان وبوصان وأرض الرسية وأرض بني حذيفة وأرض الأبقور فمنحدر إلى أنافية فأبراق من ناحية بيش"⁽⁶⁷⁾، ويذكر ذلك المعدن أيضاً في مواضع أخرى من كتابيه "الصفة" و"الإكليل الجزء الأول" ضمن مخلاف صعدة من خولان قضاة أو بلد خولان⁽⁶⁸⁾.

ويتضح من خلال ماسبق وأورده الهمداني وما ورد عنه أيضاً عند ياقوت في معجمه⁽⁶⁹⁾ بأن ذلك المعدن سواء أُعبر عنه بالقفاعة أو البار فإن كلتي التسميتين تدلّان على نفس ذلك المعدن بأرض "حرّة" من "رازح" والذي كان يشتمل أيضاً على سوق مشهور يسمى "سوق معدن" أو "سوق البار" ولا يزال اسمه حياً يطلق على أطلال موضع غربي جبل رازح وحازة تهامة⁽⁷⁰⁾.

على أن ذكر "البار" في النقوش اليمنية القديمة، (بأران) حسب رؤية "جام"⁽⁷¹⁾، في النقش (J 610/ 27) "أ و د ي ت ن / ذ - ب أ ر ن / و - خ ل ب" كاسم لواء متلازم مع وادي خلب في سياق مكاني واحد وثيق المطابقة لنفس الموضع المكاني الذي حدده الهمداني بأعلى وادي خلب والخصوف، قد يعطي ارتباط اسم ذلك المعدن في نفس الموضع المكاني بالتسمية "البار" بعداً زمنياً أعمق وأقرب مزامنة لمرحلة تلك الإشارات الخاصة بالمصادر الكلاسيكية السابقة من ارتباطه بالتسمية الأخرى "القفاعة". وإضافة إلى هذا المعدن فإننا نجد أيضاً - كما ذكرنا مسبقاً - بأن بقية المناطق المتصلة به من سراة خولان الممتدة شمالاً حتى "بيش" تعد أيضاً من مناطق الذهب، وإذا تأملنا في امتداد تلك السراة وبخاصة منطقة جبل رازح المشتملة على معدن البار أعلى وادي خلب والخصوف المهراق جنوبي جازان (= جيزان حالياً) لوجدناها تشكل أيضاً المهراق الرئيسية لوادي

(67) الهمداني صفة (مصدر سابق) 128-129.

(68) الهمداني صفة (مصدر سابق) 225؛ إكليل جـ 1، تحقيق/ محمد بن علي الأكو، بغداد 1977، 455.

(69) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، القاهرة 1906، جـ 2، 37.

(70) عن بقاء تلك التسمية أنظر: الإكليل جـ 1 (مصدر سابق) حاشية المحقق/ محمد بن علي الأكو رقم (1352) ص 455.

(71) أنظر: Jamme, A., Sabaeen Inscriptions from Ma'aram Bilqis (Mārib), Baltimore 1962, 113-115.

Al-Sheiba [= aB-Šayba], A. H., Die Ortsnamen in den altsüdarabischen Inschriften. Mit dem Versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung, in: Archäologische Berichte aus dem Jemen 4 (1987) 17.

"لِيَّة" الواقع إلى الجنوب مباشرة من وادي خلب منحرفاً بمجره صوب الشمال الشرقي ليتصل بمشاربه تلك⁽⁷²⁾. وقد ورد ذكره في النقش (J 649/ 9) بنفس التسمية "ل ي ت" وفي نفس المكان⁽⁷³⁾، وقد يكون هو نفسه اسم المكان Litus Mamaeum الذي ذكره "بلينيوس" في كتابه "التاريخ الطبيعي" قائلاً أنه يتواجد به منجم للذهب. كما تشكل تلك المنطقة أيضاً مشارباً لبقية الأودية الغربية المراقبة من تلك السراة شمالي وادي خلب كوادي "جازان" وحتى وادي "بيش" الذي يستقي أيضاً أهم مشاربه منها وبالتحديد عبر وادي "دفا" المتصل به والواقع إلى الشمال مباشرة من "غيلان" جبل رازح بسراة خولان⁽⁷⁴⁾ والذي ورد ذكره أيضاً في النقش (J 658/ 15) بنفس التسمية "ب- س ر ن/ د ف أ"⁽⁷⁵⁾. بحيث تظهر كل تلك الأودية المتلازمة معاً متصلة جميعها بمنطقة الذهب تلك في سراة خولان بمشاربها المشتركة منها.

فإذا أخذنا في الاعتبار وفقاً لطرحنا السابق جانب الترابط بين احتمال المواضيع الخولانية السابق ذكرها على نوعية الذهب الجيد تلك والشديد الاحمرار والغزارة، وبين تأثر انتماء تلك المواضيع لخولان الشمالية (= خولان صعدة) فيما يغور زمنياً في المرحلة السابقة للإسلام بكثير وفقاً للشواهد النقشية، التي لا تسجل من حيث القدم بالطبع بدء التواجد الخولاني هناك، بالإضافة إلى تطويق وادي أو نهر بيش لخولان تلك من الشمال، فإن خولان الشمالية ستصبح وفق مقابلة المسمى "خولان" بـ "حويله" هي "حويله" أرض الذهب المطوقة بنهر "فيشون" الذي سيكون هو نفسه وادي بيش كأكبر الأنهار الموسمية الجريان في منطقة السروات الشمالية والتهائم المقابلة لها.

إن طرحنا هذا يتوافق، ومع بعض الاختلافات فيما يتعلق باستخدام مادة المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية، مع ما ذكره "فون فيسمان" في دراسته عن حويله (Wissmann 1970: 906-954.v) التي تعد أشمل الدراسات السابقة

(72) وإلى جانب ما بورده الهمداني من وصف هيدرولوجي لتلك الأودية أنظر أيضاً: العقيلي، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان، المخلاف السليماني، الرياض 1979، 22-23، 95-100، 168، 213-215، 227، 249-253، 266-269، 415-418؛ أبو العلا (مرجع سابق) 104-106؛ متولي، محمد. أبو العلا، محمود طه، جغرافية شبه جزيرة العرب/ (ج 3) جغرافية اليمن الشمالي، القاهرة 1978، 125.

(73) (Jamme, ibid. 151-153; Al-Sheiba, ibid. 50).

(74) أنظر فيما يتعلق بذلك التحديد الهامش السابق رقم (70).

(75) (Jamme, ibid. 163-164; Al-Sheiba, ibid. 27).

على الإطلاق معالجةً لذلك الموضوع، فهو يتابع "نيبور" في اعتبار "حويله" هي "خولان" كما ينتقد في نفس الوقت الدراسات السابقة المتابعة لذلك الرأي لكونها لم تشبع مسألة التحقيق في ذلك الأمر بقرائن عدة تساعد في تدعيم وجهة النظر تلك. كما ينتقد "جلازر" في تحديده لحويله في وسط وشرق الجزيرة العربية ومنها منطقة اليمامة أي في مناطق تكاد تخلو من مناجم الذهب، إلا في بلاد القصيم منها، فيما يعتبر إهمال لأهم شرط مرتبط بحويله أرض الذهب.

ويشرع "فون فيسمان" بادئ ذي بدء في التحقيق في مسألة "حويله" أرض الذهب من خلال البحث الدقيق عن مواطن الذهب الجيد والغزير التي تتواجد في بلاد خولان الشمالية وما إتصل بها شمالاً من السروات الجبلية في بلاد عسير وما يقابلها غرباً من سهل تهامة من خلال معطيات المصادر الكلاسيكية كتلك الخاصة بـ "أجاثارخيدس" و"بلينيوس" و"بطليموس" بما في ذلك خارطته المعروفة. وكذلك من خلال معطيات المصادر العربية الإسلامية، كل ذلك في حساب جغرافي دقيق. وفيما يتعلق بالمسمى المكاني Litus Mamaeum المشتمل على منجم للذهب الذي ذكره "بلينيوس" في كتابه "التأريخ الطبيعي" وفق إشارتنا السابقة، فإنه يعتبر تلك التسمية هي نفسها المصطلح المكاني العربي "مَعْمَلَة" كمصطلح يطلق وبشكل عام على مناجم استخراج الذهب، قائلاً بأن ذلك المصطلح المكاني لا يزال يستخدم لنفس الغرض الوظيفي إلى يوم الناس هذا في المنطقة الواقعة جنوبي غرب "ترابة" في النطاق المكاني السابق تحديده من جنوبي غرب الجزيرة العربية (ibid. 906-910).

ثم يقوم عقب ذلك باستقراء ما يورده الكلاسيكيون وبخاصة "أجاثارخيدس" من سحب المياه المتدفقة من الجبال إلى السهل الساحلي التهامي لذرات الذهب معها، ومن تفرع ذلك السيل الجارف في تلك المنطقة إلى أربعة فروع معتبراً "فون فيسمان" بأن ذلك الوصف إنما ينطبق على أربعة من أودية بلاد عسير والجزء التهامي الملاحف لها من الغرب، والتي هي - وفق ترتيبها من الشمال إلى الجنوب: وادي حسبة حيث منجم الذهب الجبلي عشم؛ وادي قنونا؛ وادي يبا؛ وادي حلي، التي يرد ذكرها جميعاً في عدد من المصادر الجغرافية والبلدانية العربية الإسلامية كمواضع تشتمل على معدن الذهب (ibid. 911f.).

ويقول بأن منطقة دهبان والتي يعتبر بأنها تعني "أرض الذهب" الواقعة في حرة بني هلال حالياً، أو حرة كنانة عند الهمداني في نفس المنطقة التهامية، يقول بأنها هي نفسها معدن الذهب ضنكان الذي يتحدث عنه الهمداني في كتابه "الجوهرتين" بأنه نضيس وأنه يقع أسفل معدن القفاعة ومعدن عشم. كما يعتبر بأن ضنكان هي نفسها ذنكان التي ترد برسمها الأخير هذا مرتبطة أيضاً بذهبان عند الهمداني في كتابه "الصفة" وعند ياقوت في معجمه وفق قولهما بأن "ذهبان" تقع في وادي ذنكان معتبراً ذلك مجرد تصحيف طرأ على الاسم ضنكان. ثم يقابل بين اسم المعدن السابق (ذهبان) وبين كل من اسم الموضع (Θήβαί) والوارد ذكره عند بطليموس، والـ (Δεβαί/ Δεδεβαί) الذين يذكرهم "أجاثارخيدس" بغسلهم للذهب. كما تحدد خارطة "بطليموس" موضعهم بشكل تقريبي في نفس المكان حيث "ذهبان"، ليجعل منها جميعها هي نفسها "ذهبان". ثم يقابل بين اسم القبيلة المعروفة حالياً - وحالياً فقط - ببني هلال التي تقيم في نفس المكان وبين الـ (Ἀλλιαῖοι) عند "أجاثارخيدس" ليقول بأنهم هم أنفسهم بنو هلال. ويحدد موضع الـ (Ἀλλιαῖοι) عند "أجاثارخيدس" بين كل من (Δεβαί) و (Κασσανδρεῖς)، أما "بلينيوس" فإنه يذكر بدلاً من الـ (Ἀλλιαῖοι) التسمية (Apitami) الذين يضعهم بين (Canauna) و (Casani). ويقابل "فون فيسمان" بين (Canauna) ومنطقة "قنونا" في نفس السهل الساحلي وكذلك بين الـ (Casani) والـ (Κασσανδρεῖς)، أما الـ (Apitami) الذين سيكون موضعهم في نفس موضع الـ (Ἀλλιαῖοι) فإنه يعتبرهم هم أنفسهم الـ (Ἀλλιαῖοι) ويعتبر تلك التسمية (Apitami) مجرد صفة لهم بمعنى "عبيد عم" أي عبيد المعبود القتباني المعروف "عم". بحيث يكون ترتيب مواضع تلك الأقوام في ذلك السهل الساحلي من الشمال باتجاه الجنوب عند "بلينيوس" أولاً الـ (Apitami) ثم الـ (Casani)، أما عند "أجاثارخيدس" فأولاً الـ (Ἀλλιαῖοι)، ثم الـ (Κασσανδρεῖς) (ibid. 911f., 915f.).

ويواصل استقراء لمعطيات المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية المتعلقة بنفس النطاق المكاني - متجهاً من المناطق السابقة صوب الجنوب - قائلاً بأنه يرد عند "بطليموس" بعد دهبان (Θήβαί) على امتداد نفس شريط السهل الساحلي الملاحف لجبال عسير باتجاه جنوبي مضيق يعرف بنهر (Βαίτιος) ليعتبره هو نفسه الوادي المعروف بوادي بيش/بيشة، واتصاله في السهل الساحلي

بوادي بيض، والذي تهراق منابعه من جبال عسير إلى الشرق من الساحل وأنه وإن كان اليوم جافاً إلا أنه كان جارياً بشكل مستديم أيام "بطليموس" الذي يعتبره أكبر نهر في المنطقة. ويربط "فون فيسمان" تلك المعطيات الكلاسيكية بما تفيده معطيات المصادر العربية الإسلامية وبالتحديد عند "الهمداني" و"ياقوت" من انتشار الكثير من مناجم الذهب على طول امتداد ذلك الوادي كما هو الحال في منطقة ذهبان. ويعتبر بأن اسم القبيل (Κασσανδρείς) أو (Casani) الذي كان يقيم إلى الجنوب من الهلاليين (Ἀλλαιῶι) في السهل التهامي فيما يقابل شرقاً وادي ببشة وخولان الشمالية، إنما يرتبط لفظاً وموضعاً بالمسمى جيزان (= جازان في المصادر العربية الإسلامية) كاسم للميناء المعروف حالياً على البحر الأحمر. ويفترض عودة تلك التسمية إلى مرحلة ما قبل الإسلام - وهو ما أثبتته حقاً الدلائل النقشية اليمنية القديمة التي تذكر المنطقة بالاسم "جأزان" (76).

ومجمل القول فإن الأرض الجبلية التي تشرف من جهة الشرق على منطقة "جيزان"، أو بلاد الـ (Κασσανδρείς) حسب "فون فيسمان"، ستكون هي أيضاً من بلاد خولان الشمالية التي تصب بعض أوديتها الأخرى كـ "ضمد" في السهل الساحلي التهامي حيث جيزان. وبالتالي فإن المنطقة الشاملة لبلاد الـ (Ἀλλαιῶι) ولما يقع في الجانب الخلفي من بلاد الـ (Κασσανδρείς) في وصف "أجاثارخيدس"، الذي يعتبرها منطقة تتواجد فيها مناجم الذهب الجيد، الذي يتم استخراجها بالحفر له في باطن الأرض والمتواجد في شكل قطع، ستكون هي منطقة بلاد الهلاليين، والمناطق الجبلية من خولان الشمالية حيث جبل رازح والمشرقة على السهل التهامي حيث جيزان (ibid. 917-923).

ثم يورد "فون فيسمان" ما يذكره "أجاثارخيدس" بعد وصفه مباشرة لمناجم الذهب تلك في بلاد الـ (Ἀλλαιῶι) والأرض الخلفية من بلاد الـ (Κασσανδρείς) من أنه يوجد بالقرب من تلك المنطقة ميناء بحري يسمى (Κάσβαί) الذي تصب فيه عدة مجار مائية، ليجعل "فون فيسمان" من ذلك الميناء هو ميناء "خور الوهلة" قائلاً بأن المجاري أو الينابيع المائية التي كانت تصب فيه إنما هي مجاري سيول الأودية الجبلية التي أهمها وادي "خلب" المهرق من خولان الشمالية. ثم يذكر، مدلاً على قدم إسم ذلك الوادي، ما يورده النقش السبئي (J 616/ 27) العائد إلى أيام الملكين السبئيين إلي شرح يحضب

(76) أنظر: عبدالله، يوسف محمد، نقش الواقر - نقش جديد من العصر السبئي القديم، المسند 2 (2004) 2-6.

وأخيه يأزل بين، منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً، من معارك حربية حدثت في أسافل الأودية "بأران، خلب، تدحان"، معتبراً بأن "بأران" هو سوق "البار" الكبير الذي يذكره "الهمداني" والواقع على حافة منطقة الذهب المرتفعة أعلى وادي خلب والمشرقة على الأرض المنخفضة (تهامة) وفق قوله بأن أصل وادي خلب يبدأ عند القفاعة والبار (ibid. 924f.).

ثم يستعرض "فون فيسمان" الحالة السياسية القديمة لخولان الشمالية تلك من خلال المعطيات النقشية السبئية وبالتحديد الخاصة منها بالمرحلة السبئية الوسيطة المتضمنة لفترة الصراع السبئي/ الريداني وتدخل الأحباش بدءاً من نهاية القرن الأول/ بداية القرن الثاني الميلادي (عهد وتارم يهأمن ملك سبأ) وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي (عهد شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانة)، التي عاشت خولان الشمالية خلالها تمرداً مطرداً ضد الدولة السبئية وتواطئاً ضدها - أحياناً - مع الأحباش، كما عاشت مقابل ذلك حملات قمع وإخضاع سبئية مستمرة ضدها، فيطرح فون فيسمان من خلال ذلك فرضية مفادها أن السبب الرئيسي لتركيز الدولة السبئية الكبير على خولان تلك هو اشتغالها وبكثافة على معدن الذهب الجيد (ibid. 926-940).

ووفقاً لذلك الطرح المتعلق بمواضع الذهب بخولان الشمالية من خلال المعالجة التفصيلية لمعطيات المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية وما يتعلق بذلك من جوانب جغرافية معروفة حالياً بل وما هو معروف منها من خلال النقوش اليمينية القديمة، يعتبر "فون فيسمان" أن خولان تلك هي نفسها المذكورة في سفر (التكوين: 2) بـ "حويله" أرض الذهب، وأن نهر "فيشون" هو نفسه وادي "بيش" الذي يُعتبر أيضاً الحد الشمالي لخولان الشمالية، ويتحدث أيضاً عن توافر بقية الشروط المتعلقة بها وفق التوراة، أي المقل والجزع، في نفس ذلك النطاق المكاني علاوة على الذهب الجيد الكثير.

أما فيما يتعلق بـ "حويله" اليعقطنانية و"حويله" الكوشية اللتين يعتبرهما "فون فيسمان" صورتين روئيتين تعبران عن "خولان" - كقبيلة - في اليمن بجزئها الشمالي (خولان الشمالية/ خولان صعدة = خولان الأجودود/ الجديدة/ الجدد في النقوش)، والجنوبي (خولان الجنوبية/ خولان العالية/ الطيال = خولان خضلم في النقوش)، فإنه يدل على كونها في كلي النصين التوراتيين

هي نفس القبيلة من خلال تلازم ذكرها في كلي النسقين^٢ النسبيين مع سبأ كما هو الحال وفق النقوش من تلازم خولان الجنوبية وخولان الشمالية معها. وهو يفترض أيضاً - فيما يتعلق بذلك - بأن خولان كانت تمثل مع سبأ في الأصل قبيلتين بل ومملكتين كبيرين في اليمن ثم مملكة واحدة كبرى، وأن خولان الجنوبية كانت متصلة اتصالاً جغرافياً مكانياً بخولان الشمالية وظلت كذلك إلى أن فصلت خولان إلى جزئين جنوبي وشمالى بدخول كل من قبيلة سمعي والمعينيين بينهما فيما يفترض عودته إلى نهاية النصف الأول من الألف الأول ق.م. ويشير في مسألة تعضيده لذلك إلى النقش المعيني (Gl 1155) الذي يعبر عن السلطة (السبئية) في اليمن بالصيغة "سبئيون وخولانيون".

كما يلمح "فون فيسمان" من جانب آخر إلى الطرح الفرضي الخاص بـ "أولبرايت" (W. F. Albright) من أن تكرار ذكر "سبأ" - وبالتالي "حويله" وغيرها أيضاً - في نسقين نسبين مختلفين كوشي ويقطاني قد يكون مرده إلى أن "سبأ" صنعت لها مستعمرة في مراحل نفوذها الأقدم في كل من ضفتي البحر الأحمر العربية والإثيوبية ليعني النسق النسبي الكوشي ماهو موجود منها في إثيوبيا وربما كذلك أيضاً في الحواف العربية الشرقية للبحر الأحمر، معتبراً "فون فيسمان" من ذلك الطرح ربما حل آخر لمسألة ذلك التكرار في ذكر "حويله" و"سبأ" في نسقين نسبين مختلفين.

أما "حويله" المذكورة في النصين التوراتيين (تكوين: 25) المتعلق بذكر القبائل من أبناء إسماعيل و (صموئيل/ 1: 15) المتعلق بشاول والعماليق، فإن "فون فيسمان" يعتبرها ممثلة لتواجد خولاني في هيئة جالية كانت تسكن في شمالي غرب الجزيرة العربية بالقرب من "دادان" ضمن المستعمرة التجارية العربية الجنوبية هناك التي كانت تضم - علاوة على المعينيين - كلاً من السبئيين والخولانيين تماماً كما كان عليه الوضع في اليمن آنذاك من تشكل الدولة من كل من الشعبين سبأ وخولان. ويربط ذلك بذكر الخولانيين في نقش معيني بـ "دادان" مرتبطين فيه بعبادة المعبود "ود" (R 3695=M 356) قائلاً أن "ود" لم تكن عبادته حينها في خولان الجنوبية أو الشمالية وإنما كانت مرتبطة بتلك الجالية الخولانية في شمالي غرب الجزيرة العربية. ويربط ذلك الوجود الخولاني هناك بالتشابه بين التسمية "خولان" وبين اسم القبيلة

"الخولوتيين" (Χαυλοταίων) التي يذكرها الكاتب الكلاسيكي "أراتوستينيس" (275- 194 ق.م) محدداً موضعها بين الأنباط (Ναβαταίων) وساكني الحجر شمال دادان المعروفين بالـ (Άγραιοί). وهو يعتقد، وفقاً لغيره كـ "موزل"، بأن القبائل الإسماعيلية المحصورة بين "حويله"، والتي هي عنده الجالية الخولانية المقيمة في المحيط المكاني المجاور لدادان كما أسلفنا، وبين "شور" التي توصف في سفر (التكوين: 25) بأنها "التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور" إنما كانت متوطنة للمنطقة الواقعة فيما بين حدود مصر إلى دومة الجندل ومن تدمر شمالاً إلى تيماء جنوباً (ibid. 940-954)، (أنظر: خارطة: 2).

ورغم الترابط الوثيق بين دلائل ومعطيات المصادر التي ساقها "فون فيسمان" ودقته في الوصف الجغرافي وفي الجانب التحليلي بشكل عام، إلا أننا نأخذ عليه - فيما لن يضير أبداً بالجوهر العام لمجرى الدراسة وللنتائج التي خرج بها- التالي:

- عدم قيامه، وكذلك من سبقه أيضاً، بإيضاح مسألة تشابه المسميين "حويله" و"خولان" لغوياً، الذي ربما كان مرده هو الوضوح البديهي لذلك الأمر عند المتخصصين من أصحاب تلك الدراسات بل وحتى عند الملمين العاديين منهم بأمور العبرية واللغة اليمنية القديمة والعربية الفصحى.
- ما تعمده، وفي حالة واحدة فقط، من إلغاء البعد التاريخي الزمني حين مقابلته الـ (Άλιλαῖοι) ببني هلال رغم أن ذكر بني هلال في النطاق المكاني الذي يربطهم به (منطقة ذهبان) إنما يأتينا من مرحلة متأخرة ويغيب كلية في المصادر التي تحدثت عن ذلك الموضع في العصور الأقدم. وكذلك أيضاً اعتباره التسمية (Apitami) صفة للـ (Άλιλαῖοι) بمعنى "عبيد -المعبود القتباني الأصل- عم" دونما دلائل منطقية.
- اعتباره بأن التسمية المكانية "ذهبان" - اسم إحدى المناطق التي عالجتها الدراسة- إنما تعني "أرض الذهب" - أي الذهب كمعدن- قائلاً بأنه توجد في اليمن مناطق كثيرة تحمل أيضاً تلك التسمية، مع العلم بأن معنى تلك التسمية المكانية في اليمن التي تعود بجذورها ولا ريب إلى المرحلة السابقة للإسلام هو "الأرض الزراعية" وذلك وفق معطيات اللغة

- اليمنية القديمة واللهجات اليمنية الدارجة إلى الآن⁽⁷⁷⁾. أما معدن الذهب فقد كان يطلق عليه في اللغة اليمنية القديمة التسمية "طيب"⁽⁷⁸⁾.
- أما فيما يتعلق بحديثه عن خولان الجنوبية (= خولان خضلم في النقوش، العالية/الطيال فيما بعد) على اعتبارها ثابتة في إطارها المكاني فيما بين صنعاء ومارب طيلة مراحلها التاريخية وحتى الآن فهو اعتقاد كان معمولاً به بشكل عام في الأوساط البحثية وقد تم تصحيحه وفق دراستنا (Al-Salami, 2007)⁽⁷⁹⁾.
- وفيما يتعلق باعتقاده من أن "خولان" كانت تشكل مع "سبأ" في المراحل الموعلة قدماً مملكة واحدة كبرى فإن ذلك يظل محط الطرح الفرضي المستلزم لدلائل نقشية أخرى أكثر وضوحاً في التدليل من مجرد النقش (GI 1155).
- استخدامه أحياناً للتسمية "همدان" بدلاً من "سمعي" كمسمى قبلي يطلق على أجزاء سمعي الثلاثة "حاشد، يرسم، حملان" معطياً للتسمية "همدان" وفق ذلك الاستخدام غوراً زمنياً يعود إلى مرحلة مبكرة من تأريخ مملكة سبأ، مع العلم بأن الاسم "همدان" إنما كان في الأصل وفقاً لما تحكيه النقوش اليمنية القديمة اسماً للأسرة المتزعمة لثلاث قبلي واحد فقط من أثلاث سمعي وهو الثلاث "حاشد". وتعود أقدم النقوش التي ذكرت تلك الأسرة إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي تقريباً. أما تعميم تلك التسمية الأسرية "همدان" على كل تلك الأثلاث القبلية أو بالأحرى على جانب كبير منها بالإضافة إلى قبيلة بكيل فهو أمر إنما تم في مرحلة تلي المرحلة التي يعيها "فون فيسمان" بكثير وبالتحديد بدءاً من القرن الخامس الميلادي⁽⁸⁰⁾، إلى غير ذلك من الأخطاء البسيطة.

ونحن نتفق مع "فون فيسمان" حول تحديده مكان حويله في دراسته السابقة، وفق مقابلتها بخولان، في المواضع المكانية الثلاثة التي ذكرها، إلا أننا

(77) أنظر فيما يتعلق بذلك المصطلح: الإيراني، مطهر، المعجم اليمني في اللغة والتراث، دمشق 1996، 332.

(78) أنظر: بيستون وآخرون، المعجم السبئي، لوفان الجديدة/ بيروت 1982، 154..

(79) أنظر ما أوردناه حول ذلك في النقطة (1) من هذه الدراسة.

(80) للإطلاع على الجغرافية التاريخية لسمعي وبكيل قبل الإسلام أنظر على سبيل المثال: Robin, C. J., Les hautes-terres du Nord-Yémen avant l'Islam, T. 1: Recherches sur la géographie tribale et religieuse de Āwāḥn Quṣṣa et du pays de Ḥamdān, T. 2: Nouvelles inscriptions, Istanbul-Leiden 1982.

نخالفه حول تحديد طبيعة كل منها وفق الفهم النصي التوراتي، لاسيما وفقاً لما أوردناه في النقطتين (1، 2) من هذه الدراسة.

بما معناه أن خولان الشمالية أو حويله أرض الذهب ستكون هي أيضاً - كقبيل- يقطانية وليست تلك الكوشية وذلك وفقاً لما يورده النص التوراتي (تكوين: 2) من شرط التباين المكاني بين موضع حويله أرض الذهب وبين أرض بني كوش. ولابد أيضاً من إدراج خولان الجنوبية (= خولان المتحالفة مع ردمان بما في ذلك جزؤها الشمالي المعروف بخولان خضلم = العالية/ الطيال فيما بعد) في النسبة معها إلى يقطان لعودتها أيضاً وفق النقوش إلى مراحل موعلة في القدم ولإشترакها مع خولان الشمالية، كما أسلفنا في بداية هذه الدراسة، في أواصر وعلاقات قري وثيقة. أما حويله الكوشية فيجب أن تحشر مكاناً إلى جوار بقية القبائل المنتمة في النص التوراتي (تكوين: 10) إلى كوش كسباً وادان والتي يجب أن توضع وفق التحديد المؤكد لدادان (= حالياً واحة العلا شمالي غرب الجزيرة العربية) في مكان ما من شمالي غرب الجزيرة العربية، وهو ما يمكن تفسيره بما سبق وأن أوردته فون فيسمان (v. Wissmann 1970: 947-954) وفقاً لدلائل نقشية وكلاسيكية من تواجد توطني قبل الإسلام لفرع من سبأ ومن خولان في ذلك النطاق المكاني الشمالي الغربي من جزيرة العرب حيث "دادان" على امتداد طريق القوافل.

وأما عن "حويله" المذكورة في سفري (تكوين: 25) و (صموئيل/ 1: 15) فإننا إذا نظرنا إليها في ضوء المعطيات الخاصة بها في سفر (تكوين: 25) والمتعلق بالنسق النسبي الإسماعيلي المتشكل من القبائل "نبايوت، قيدار، أدبئيل، ميسام، مشماع، دومه/دوما، مسّا، حدار، يطور، تيما، نافيش، قدمه/قدما"، سنجدتها ترد كنقطة تالية أو طرف تال لتحديد النطاق المكاني لانتشار قبائل ذلك النسق المحصور بين نقطتي تحديد مكانيتين إحداهما هي "شور" والأخرى هي "حويله" وفقاً لما يورده ذلك النص "وسكنوا من حويله إلى شور التي أمام مصر حينما تجيئ نحو آشور، أمام جميع إخوته نزل" والذي يقابل في الترجمة العربية التي ينقلها ابن خلدون "سكنوا من حويلا إلى شور قبالة مصر من مدخل آشور، وسكنوا على هذا شيع إخوته"⁽⁸¹⁾. ويحدد ابن خلدون⁽⁸²⁾ النقطة "شور" نقلاً عن من أسماهم "أهل التوراة" بالحجاز -هكذا- على ما تحمله كلمة الحجاز من معنى

(81) ابن خلدون (مصدر سابق) ج 2، 39.

(82) نفسه.

جغرافياً واسع يشمل سلسلة مرتفعات "العرج" و"الأبيض" قرب المدينة وجبال "الشراة" حتى نقطة اتصال تلك السلسلة بهضبة الأردن الشرقية⁽⁸³⁾.

وقد نستطيع الوصول إلى تحديد مكاني أكثر دقة لشور فيما إذا قمنا باستقراء تحديدها كما هو في النص السابق بترجمتيه في ضوء تحديد "أهل التوراة" السابق لها بأرض الحجاز، مع الأخذ في الاعتبار بأن عبارة التحديد الخاصة بها في ذلك النص هي التي تلي ذكرها مباشرة دون أن يكون لها أدنى علاقة بحويله التي تقدم ذكرها منعزلاً في بداية الكلام، لتظهر شور محددة في تلك العبارة "أمام مصر أو قبالتها وأنت ذاهب نحو آشور (بلاد الموصل والجزيرة الفراتية) = "قبالة مصر من مدخل آشور" لتكون "شور" بذلك إنما هي النقطة الشمالية من بلاد الحجاز الموصلة بين آشور شرقاً ومصر غرباً.

وبالتالي فإن تحديدنا لنطاق الانتشار المكاني لقبائل النسق الإسماعيلي انطلاقاً من النقطة التحديدية الأولى الواضحة "شور" سيقودنا حتماً - كما أسلفنا في النقطة (2) من هذه الدراسة - إلى الموضع المكاني الخاص بالنقطة التحديدية الثانية "حويله" أو يقربنا من موضعها.

ففيما يتعلق بأولى تلك القبائل "نبايوت" يرى "إيوتنج" أنها هي نفسها "نبايوت" المذكورة عند "بلينيوس" مرتبطة بقبيلة "قيدار/قديري"، بل وأقدم من ذلك أيضاً في النصوص الآشورية لتعني جميعها "نبط/ الأنباط" - مع الإبدال الجائز بين التاء والطاء - في شمالي غرب الجزيرة العربية وفقاً لرؤية "دلش" و "سكرادر" و"نولدكه" و"جورج سميث" وأخيراً "بروم"⁽⁸⁴⁾.

(83) فيما يتعلق بذلك التحديد للحجاز في الأدبيات العربية الإسلامية أنظر على سبيل المثال لا الحصر: البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق وضبط/ مصطفى السقا، بيروت 1983، ج1، 8. (84) أنظر: Brown, ibid. 614، وقد أعترض كل من "ستاركي" و"وينيت" على فكرة التطابق اللغوي بين صور ذلك الاسم الآشورية والتوراتية والعربية من جانب ("na-ba-a-ti" في الآشورية = "נַבְיֹוֹת/ نبايوت" التوراتية = "نبيت" العربية) والاسم "نبطو"، الذي أشار به الأنباط لأنفسهم في كتاباتهم، من جانب آخر بقولهم أن الحرف الثالث في تلك الصيغة الآشورية/التوراتية/العربية هو الباء، كما أن تحول التاء فيها إلى الطاء في "نبطو" هو أمر غير مقبول حسب زعمهم، وأن التاء قد تكون علامة تأنيث. وقد رد "بروم" في 1973م عليهما بمحاولته إثبات التطابق اللغوي فيما بينهما، أي بين تلك الصيغة الآشورية/التوراتية/العربية والاسم نبطو، وذلك كالتالي:

- 1- أن التاء في الآشورية وبالتالي في الصيغتين التوراتية والعربية هي جزء من جذر الكلمة وليست علامة تأنيث.
- 2- أن الصيغة الآشورية يجب أن نقرأ "نباي" وليس "نبيت" أي أنه لا وجود للباء فيها، أما وجودها في الصيغتين التوراتية والعربية فقد تكون نتيجة تطور ثانوي؛ 3- أن تحول التاء في الصيغة الآشورية والتوراتية والعربية إلى الطاء في "نبطو" سببه انتقال النبرة من المقطع الثاني إلى الثالث. أنظر فيما يتعلق بذلك: Abu Taleb, M., Nabayati, Nebayot, Nabayat and Nabafu: The linguistic problem revisited, in: Dirasat Humanities and Heritage/ The University of Jordan V. 11/ 4 (1984) 3-11.

وأما "تيما" فقد ورد ذكرها بنفس الرسم في النصوص الآشورية وفي النصوص الآرامية وفقاً لـ "ليدزيرسكي"⁽⁸⁵⁾ - وبخاصة أيام الملك البابلي نابونيد (منتصف القرن السادس ق.م) الذي يدرجها على لسانه في نصوصه ضمن سياق تعداده لمناطق شمال غرب الجزيرة العربية⁽⁸⁶⁾ - لتدل هي نفسها على منطقة "تيما" الواقعة في شمالي غرب الجزيرة العربية وفقاً لرؤية "دلتش" و"سكرادر" و"نولدكه" و"ويلسون" و"كوك" و"إيوتنج"⁽⁸⁷⁾.

وفيما يتعلق بـ "أدبئيل" فقد حاول "دلتش" الربط فيما بينها وبين "أيدبئيل" الذي ورد ذكره في النصوص الآشورية من أيام "تيجلات بيليسر الثالث" (منتصف القرن الثامن ق.م) كاسم لشخصية عربية شمالية عينه "تيجلات بيليسر" مشرفاً على منطقة تدعى "مصري" يبدو أنها كانت قريبة من الحدود المصرية الشمالية الشرقية عند أطراف سيناء⁽⁸⁸⁾.

وأما "دومه/دوما" فقد ذكرت أيضاً في النصوص الآشورية باسم "أدوماتو"، ويذهب كل من "بوركهاردت" و"ديلمان" وكذلك "جزيانيوس" و"جلالز" على أنها هي نفسها "دومة الجندل" العربية الشمالية، وربما قريباً منها في الجوف الشمالي أيضاً⁽⁸⁹⁾، وقد سبقهم "البكري" (ت: 487هـ) في كتابه "معجم ما أستعجم" إلى ذلك التحديد بقوله أن "دومة الجندل عرفت بدومان بن إسماعيل وكان نزلها"⁽⁹⁰⁾.

وأما "قيدار" فقد ذكرتها النصوص الآشورية كقبيلة عربية⁽⁹¹⁾، كما ذكرها "بلينيوس" مترابطة مع "نبايوت"، وورد ذكرها أيضاً في النقش المعيني (M 392/35). ويحددها "فون فيسمان" على ضوء ذلك في منطقة وادي السرحان بالجوف الشمالي⁽⁹²⁾. على أن أدق المعلومات بخصوص موقعها المكاني الذي جاءنا

(85) أنظر: Brown, ibid. 614.

(86) أنظر تلك النصوص على سبيل المثال في: عيد، مرعي، نابونيد آخر ملك بابلي، في: حولية كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية (18) جامعة قطر، 150.

(87) أنظر: Brown, ibid. 614.

(88) أنظر: Brown, ibid. 9. صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم ج1، القاهرة 1990، 596.

(89) أنظر: Brown, ibid. 189. صالح، عبد العزيز، تأريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة 1988، 137.

(90) أنظر: البكري (مصدر سابق) ج2، 565.

(91) أنظر: Brown, ibid. 871. صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى (مرجع سابق)، 607؛ تأريخ شبه الجزيرة

(مرجع سابق)، 137-139.

(92) أنظر: Al-Sheiba, ibid. 46. Brown, ibid. 871.

من النصوص الآشورية وبخاصة أيام آشورخادين (القرن الثامن ق. م) تذكر أن "تلخونو" ملكة أدوماتو (=دومه/دوما، السابق تحديدها في الجوف الشمالي) قد تحالفت مع "حزائيل" ملك قبائل قيذار المجاورة لأرضها⁽⁹³⁾، وربما كان ذلك التحالف هو الذي دفع الباحثين إلى ربط قيذار مكانياً أيضاً بمنطقة الجوف الشمالي بناءً على وقوع أدوماتو في تلك المنطقة وما قد يقتضيه التحالف من علاقة جوار بينهما. ولكن النصوص الآشورية تذكر أيضاً أن "حزائيل" ملك قيذار قد خرج هارباً حين حصار "أدوماتو" إلى قلب البادية ونجا من الآشوريين⁽⁹⁴⁾، وقد يدل ذلك على أن بلاده تقع في قلب البادية مجاورة للجوف الشمالي أي في منطقة نجد واليمامة بالتحديد. كما تذكر النصوص الآشورية تحالفاً آخر لقيذار مع الملكة "بائيلو" ملكة "أخيلو" التي يرى "جلالز" أنها "باهلة" وأن "أخيلو" هي ديار "أخلة أو أجلة" في منطقة الخرج بنجد وبالتحديد جنوب اليمامة، مدلاً على ذلك بسكنى قبيلة باهلة كما تورد المصادر العربية الإسلامية في تلك المنطقة⁽⁹⁵⁾. وذلك يجعل من موضع قيذار - بناءً على ما يعكسه التحالف من علاقة الجوار أيضاً - قريباً منها أي في اليمامة أيضاً. فنرى بذلك أن المسرح المكاني لانتشار تلك القبائل الإسماعيلية يتجه من شمال غرب وشمال شرق الجزيرة العربية صوب المناطق الوسطى منها، أي أنه يتجه من مناطق التماس وخط المجابهة والاحتكاك المباشر مع الآشوريين والبابليين - بحكم الجوار والذي ارتبط بورود ذكر أسماء القبائل السابق تحديدها فقط⁽⁹⁶⁾، دون غيرها من قبائل النسق الإسماعيلي، في النصوص الآشورية مؤكداً حقيقة سكنها في مناطق الاحتكاك تلك - صوب المناطق الداخلية من جزيرة العرب والتي قد ترتبط مكانياً ببقية القبائل الإسماعيلية الأخرى التي لم يرد ذكرها في النصوص الآشورية ربما بسبب بعدها عن خط المجابهة مع الآشوريين.

وإذا استطعنا هنا أيضاً إضافة شيء إلى ما سبق، فإنه يتعلق بالمواضع المكانية لكل من القبائل الإسماعيلية "أدبئيل" - مرة أخرى - و"قدمه/قدما" و"يطور" و"نافيش"، فإذا أخذنا في الاعتبار بأن تلك الأسماء إنما تدل على قبائل مرتبطة أسمائها أيضاً بمواضعها المكانية وليست فقط مجرد أسماء لأشخاص

(93) أنظر: صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة (مرجع سابق)، 138.

(94) نفسه، 138.

(95) نفسه، 139.

(96) حول المناطق الممتدة لخط احتكاك الآشوريين بجزيرة العرب أنظر: صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى (مرجع سابق)، 595.

فإن محاولة "دلتش" للربط بين قبيلة "أدبئيل" الإسماعيلية التوراتية وشخصية "أيدبئيل" في النصوص الآشورية ومن ثم بمنطقة "مصري" قرب شمالي غرب جزيرة العرب ستبدو واهية للغاية. ولا يستبعد أن يكون موضعها المكاني هو نفسه موضع "دئبيل" الذي يذكره "الهمداني" في كتابه "الصفة"⁽⁹⁷⁾ كاسم لرميل يتصل بالقيادة من جنوبيها بغرب واقعا فيما بينها وبين جبل العارض ونفوذ السر غرباً - مع الأخذ في الاعتبار أن الرمال تحمل أسماء المناطق التي تتصل بها أو تمتد فيها- أي أنها تكون ملاصقة تماماً لقيدار من الجنوب والغرب. ويكون إسم قبيلة "أدبئيل/أدبيل" قد تخلف بعدها ليرتبط تذكاريًا بالموضع الذي سكنته - أو جزء منه- كاسم له، تماماً بنفس الصورة التي تخلفت بها أسماء القبائل "دومه" و"تيما" لتصبح أسماء تذكارية أيضاً تطلق على مناطق بعينها.

ومما يؤكد تحديدنا السابق لتلك القبيلة "أدبئيل" ورودها أيضاً في كتب التاريخ والأنساب العربية الإسلامية كاسم لقبيلة ضمن نفس النسق النسبي الإسماعيلي السابق بكل قبائله الذي نقلت تلك الكتب ترجمته عن التوراة مرفوعة بأسانيد روائية إلى "علي بن أبي طالب"⁽⁹⁸⁾ (ت: 40 هـ) تارة وتارة أخرى إلى "محمد بن إسحاق" (ت: 151 هـ)⁽⁹⁹⁾ كما يوردها "الطبري" (ت: 310 هـ) في تاريخه⁽¹⁰⁰⁾ و"المسعودي" أيضاً (ت: 346 هـ) في "مروج الذهب"⁽¹⁰¹⁾. وعلى الرغم مما دخلها من تصحيحات نسخية بينة إلا أن عدم تغير رسمها كلية إضافة إلى إدراجها ضمن العدد الثابت لتلك القبائل الإسماعيلية الإثني عشر يدل على أنها هي نفسها المعنية في كل تلك الروايات (أنظر: شكل: 1). إضافة إلى ذلك فإن ورودها بنفس الرسم في مواضع أخرى من تلك المصادر، وأحياناً لنفس الرواة، ضمن استطرادات تاريخية ومكانية تتناولها كإحدى الأمم السالفة (البائدة) قد يفيد ولو نسبياً في عملية تحديد مواضعها. وإجمالاً فإن قبيلة "أدبئيل/أدبيل"

(97) ويوردها الهمداني "دئبيل" و"دبيل" أيضاً مخففة، أنظر كتابه الصفة (مصدر سابق)، 274، وهو ما يعرف اليوم بـ "رملة الدحي" التي ينطبق عليها نفس تحديدنا المكاني السابق، لأجل ذلك أنظر: بن خميس، عبدالله بن محمد، معجم اليمامة (مرجع سابق)، 25، 106، 407-409، 480-481.

(98) أنظر تلك الرواية عند: الفأسي، أبو الطيب، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، بيروت 1985، ج 2، 30.

(99) أنظر: ابن إسحاق، محمد، السيرة النبوية، تحقيق/ أحمد فريد المزدي، بيروت 2004، ج 1، 18؛ الفأسي (مصدر سابق) ج 2، 29، 30.

(100) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، 1979، ج 1، 161.

(101) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، 1973، ج 2، 49.

التي وردت في رسمها العربي بالصور "أدبيل، أدبل، يدبل/بدبيل، أدبل" تعد عند "ابن إسحاق" أيضاً في استطرادات أخرى له ⁽¹⁰²⁾ إحدى قبائل "نجد" الأولى، أي أنه يحوم بها حول نفس موضعها الذي افترضناه سابقاً.

وكذلك الحال بالنسبة لـ "قدمه/قدما" التي ورد رسمها العربي في تلك المصادر بالصور "قدما، قيدمان، قدمان، قيدما"، ولا يتكرر ذكرها بنفس الرسم إلا مرة واحدة فقط كإحدى القبائل الهالكة التي كانت تسكن "الرس" ⁽¹⁰³⁾ الذي يعطي له "الهمداني" معنىً فضفاضاً يشتمل على كل فلاة صيهد الممتدة من اليمن باتجاه شمالي غربي حتى الحفاف النجدية لمرتفعات السراة (=سراة عسير)، وشمالاً حتى الدهناء جنوبي غرب اليمامة ونجد ⁽¹⁰⁴⁾. على أن "الهمداني" يحدد مواضع تلك الأمم الهالكة ومنها "قدمان" في الأطراف الغربية لتلك الفلاة على الحفاف النجدية لمرتفعات السراة (سراة عسير) ⁽¹⁰⁵⁾ لتكون بذلك قريبة الجوار لـ "أدبئيل" من الجنوب الغربي ومرتفعات السراة تلك من جهة الشرق. مع الأخذ في الاعتبار ما يورده "ابن حبيب" (ت: 249 هـ) في كتابه "المحبر" ⁽¹⁰⁶⁾ من أن قبيلة "قدمان" الهالكة بالرس هي نفسها قدمان بن إسماعيل.

وكذلك الحال فيما يتعلق بـ "يطور" التي ترد في تلك المصادر بالصور "يطور، وطور، قطور/قطورا"، ولا يطابقها بذلك الرسم إلا قبيلة تدعى "قطور/قطورا" تذكرها تلك المصادر في مواضع أخرى منها ⁽¹⁰⁷⁾ كإحدى القبائل العربية البائدة التي كانت تسكن مكة وما حولها.

وأما "نافيش" فإنها لا ترد في رسمها العربي المترجم بحرف الفاء إلا عند "الطبري" و"المسعودي"، أما بقية المصادر فقد أوردتها بالباء "نبيش" فيما يعد لغوياً نطق قاس للفاء الخفيفة. وباستثناء ورودها في ذلك النسق النسبي لإسماعيلي المترجم بالأدبيات العربية الإسلامية، فإن ذكرها لا يتكرر البتة بين عداد كل القبائل السالفة البائدة التي ذكرتها تلك الأدبيات.

(102) أنظر: الهمداني، الصفة (مصدر سابق)، 151.

(103) أنظر: الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق)، 197.

(104) أنظر: نفس المصدر، 194-197.

(105) أنظر: نفس المصدر، 197.

(106) أنظر: ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تصحيح/إيالة ليختن شتير، بيروت، 6.

(107) أنظر على سبيل المثال: ابن منبه، وهب، التيجان، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء

1979، 87؛ الأزرق، أبو الوليد محمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق/ رشدي الصالح ملخص،

بيروت 1996، ج 1، 82؛ المقدسي، أبو طاهر، البدء والتاريخ، ج 2، 124.

ويتضح وفقاً لكل ما سبق من تحديد جغرافي تاريخي لمواقع قبائل النسق النسبي للإسماعيلي بأن النطاق المكاني لانتشار قبائل ذلك النسق يمتد جنوباً منتهياً بسراة عسير غير بعيد من سراة خولان الشمالية (=خولان صعدة)، لتكاد تلك القبائل أن تغطي بانتشارها المكاني كل القلب العربي المتبدي والشبه متبدي - الذي يكاد أن يكون هو نفسه المسرح المكاني لانتشار القبائل الإسماعيلية/العدنانية/المعدية التالية زمنياً - المحصور ما بين كل من نقطتي التحديد "شور"، التي هي النقطة الشمالية السابق تحديدها، و"حويلة" التي هي النقطة التحديدية الجنوبية التي ستكون هي خولان الشمالية السابق تمييزها بأنها هي نفسها "حويلة أرض الذهب = اليقطانية" (انظر: خارطة 3).

وقد نستطيع أن نعرّض ذلك التحديد بمقابلته في نفس الوقت بالتحديد الجغرافي التاريخي لمواطن قبيلة "عماليق" الواقعة مكانياً حسب النص التوراتي (صموئيل/1: 15) بين نفس نقطتي التحديد السابقتين في السفر (تكوين: 25) "شور" و"حويلة". على أننا لا نجد أي صدى تاريخي لعماليق تلك إلا في الروايات العربية الإخبارية⁽¹⁰⁸⁾ التي تطلق عليهم التسمية نفسها "العماليق" وأيضاً "عملاق"، وتعدّهم من قبائل العرب الجائرة وأنهم كانوا يتشربون وبصورة متقطعة في بضعة أماكن منها أرض الطائف، ثم مكة وتهامة والسيارة (يثرب)، ثم شمالاً إلى بلاد الشام. أي أن عماليق تمتد وفقاً لتلك الروايات الإخبارية، مجاورة من الغرب للإسماعيليين، وذلك في انطاق المكاني الواقع بين النقطة التحديدية الأولى "شور" شمالاً و"الطائف" جنوباً والتي تلاحف من الشمال سراة "شامد" وزهران ثم سراة "عسير" قريباً من النقطة التحديدية الثانية "حويلة" أي خولان الشمالية (انظر: خارطة 3).

حويلة اليقطانية وخولان في المصادر العربية الإسلامية

وفيما يتعلق بورود ذكر "حويلة" في النسق النسبي اليقطاني في التوراة كأحدى القبائل المنتسبة ليقطان رأساً، فإننا سنجد مقابل ذلك قيام "الهمداني" (ت. ح: 350 هـ) في الجزء الأول من كتابه "الإكليل"⁽¹⁰⁹⁾ بإيراد نسق

(108) أنظر على سبيل المثال: ابن منبه (مصدر سابق)، 185-187؛ المقدسي (مصدر سابق)، المجلد 1، 26، 27؛

الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق)، 150، 175؛ الأزرق (مصدر سابق)، ج 1، 84، 89، 91؛ الفاسي

(مصدر سابق)، ج 1، 143.

(109) الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق)، 204-205.

نسبي خاصاً بالقبائل الكبرى - حسب وصفه لها - المنتسبة لقحطان رأساً ذاكراً في عداها قبيلة خولان. على أن قحطان وفقاً لما يورده كبار النسابة والإخباريين كـ "محمد بن السائب الكلبي" (ت: 146هـ) و"ابن إسحاق" (ت: 151هـ) و"الهمداني" في نفس الوقت - نقلاً عنهم - في مواضع أخرى من كتابه السابق، هو نفسه يقطان في التوراة⁽¹¹⁰⁾.

فإذا أخذنا في الاعتبار بأن كل ما سبق وأوردناه في هذه الدراسة من دلائل تسعى لتأكيد القول بأن "خولان" هي "حويله" المذكورة في التوراة إنما هي محاولات علمية حديثة، فهل نحن الآن أيضاً بصدد الوقوف أمام مقابلة قديمة بين "حويله" في التوراة وبين "خولان" في إطار كلي النسقين النسبيين السابقين؟ مع الأخذ في الاعتبار بأن "حويله" في التوراة ترد في المصادر العربية الإسلامية بالرسم العربي "حويلا" بالألف الطويلة وفقاً لنطقها في العبرية مقارنة في رسمها أيضاً لرسم خولان. وعلى أية حال فإنه لا يمكننا إدراك حقيقة تلك المقابلة إلا ببحثها شمولياً ضمن كل قبائل النسقين ليتسنى لنا من ثم تأكيدها فيما يخص "حويله" و"خولان" فقط.

وبدايةً علينا أن نعلم أن حركة الترجمة والنقل من "العهد القديم" (والعهد الجديد) إلى العربية قد نشطت وفقاً لما تسرده لنا المصادر العربية الإسلامية منذ فترة مبكرة ترقى إلى النصف الأول من القرن الأول الهجري وذلك من قبل العديد من الشخصيات التي كانت على معرفة وإطلاع كبير بالعهد القديم كالصحابي "عبدالله بن سلام" (ت: 43 هـ) الذي كان قبل إسلامه من أهل التوراة وأخبار اليهود، وكذلك اليمانيان "كعب الأحبار" (ت: 32 هـ) و"وهب بن منبه" (ت: 114 هـ)⁽¹¹¹⁾، مع استمرار حركة الترجمة والنقل بعد ذلك أيضاً لتبلغ أوجها في القرنين الثاني والثالث الهجريين، دون أن تخلو من دخول

(110) أنظر على سبيل المثال: الهمداني، إكليل جـ 1 (مصدر سابق)، 176؛ الطبري (مصدر سابق) جـ 1، 105؛ ابن خلدون (مصدر سابق) جـ 2، 8.

(111) أنظر فيما يتعلق بذلك: ابن النديم (مصدر سابق) 24، 25؛ السخاوي، شمس الدين محمد، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق/ فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة/ صالح أحمد العلي، بيروت، 88، 89؛ ابن قتيبة، أبو محمد، المعارف، بيروت 1987، 244؛ بروكلمان، كارل، تأريخ الأدب العربي، القاهرة 1975، جـ 1، ترجمة/ عبد الحليم النجار، 251-252؛ محل، سالم أحمد، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، قطر 1997، 111. وإضافة لما يتعلق بنقولات "ابن سلام" من التوراة أنظر أيضاً: ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، بيروت 1985، جـ 1، 15 و جـ 2، 44، 46، 325-327.

بعض الاجتهادات والإصلاحات العربية على بعض ألفاظ العهد القديم ونصوصه وفقاً لتصريح "أحمد بن عبدالله بن سلام" (ت. ح: نهاية القرن الثاني الهجري) بذلك الذي أورده "ابن النديم" في كتابه "الفهرست" (112).

وقد تم خلال ذلك ومنذ البداية إقحام العديد من النصوص التوراتية في الأخبار والسير العربية فيما يعرف بالإسرائيليات (113). كما نجد أنه قد تم، ومنذ البداية أيضاً، نقل بعض من جداول الأنساب التوراتية إلى العربية بلفظها العبري ورسمها بالحرف العربي - تماماً وفقاً لما اتضح لنا سلفاً من خلال طرحنا المتعلق بالجدول المرفق (شكل:1-)، وتمت محاولات واجتهادات من قِبَل المترجمين أنفسهم والإخباريين والنسابة العرب في مقابلة الأسماء التي تتشكل منها تلك الأنساق الأنسابية التوراتية - وبخاصة النسق اليقطيني منها- مع ما يشابه لفظها العبراني أو رسمها العربي من أسماء القبائل القحطانية العربية كما يصرح بذلك بعض من النسابة وأصحاب تلك المحاولات أنفسهم (114) لتتصل محاولاتهم معاً في تسلسل نقلي تراكمي مع نشاطها مفردة في كل محاولة على حدة سواء أكان ذلك في ضوء الاعتماد على صور تلك الأسماء المأخوذة نقلياً من المحاولات المسبقة، أو على ضوء صورها المأخوذة رأساً من "العهد القديم" والذي غناها استمرار حركة الترجمة والنقل المباشر منه (115) مزامنة لكل تلك المراحل، بحيث تنتظم مجمل تلك العملية في خطوات:

- تتمثل الخطوة الأولى منها في قيام أصحاب الترجمة والمعرفة بالعهد القديم وبالعبرية بنقل النسق النسبي اليقطيني التوراتي بما يشمل من أسماء ورسمها بالحرف العربي مع بقاء احتفاظها بلفظها العبري كما هو. ولم تخلو هذه الخطوة من بعض محاولات في المقابلة اعتماداً على المطابقة اللفظية بين الاسم التوراتي حسب لفظه في العبرية وبين ما يقابله

(112) ابن النديم (مصدر سابق) 24، 25. وأنظر فيما يتعلق بذلك أيضاً: السخاوي (مصدر سابق) 88، 89.

(113) أنظر فيما يتعلق بذلك: ابن النديم (مصدر سابق) 24، 25؛ ابن خلدون (مصدر سابق) ج 2، 5-7؛ السخاوي

(مصدر سابق) 88، 89، 308-310؛ بروكلمان (مرجع سابق) ج 4، ترجمة/ السيد يعقوب بكر ورمضان

عبد التواب، 7-9، 90؛ محل (مرجع سابق) 70، 71.

(114) أنظر على سبيل المثال: ابن عبد ربه (مصدر سابق) مجلد 3، 368؛ الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق)

140، 141، 158، 159، 176؛ ابن خلدون (مصدر سابق) ج 2، 5-7.

(115) حول استمرار حركة الترجمة والنقل المباشر من التوراة أنظر على سبيل المثال: ابن النديم (مصدر سابق) 24،

25؛ بروكلمان (مرجع سابق) ج 2، ترجمة/ عبد الحليم النجار، 223.

في العربية من أسماء القبائل اليمنية، (مع استمرار هذه الخطوة لتتداخل مع الخطوات التالية نتيجة لاستمرار حركة الترجمة كما أسلفنا).

- أما الخطوة الثانية فجعل عناصرها من الإخباريين والنسابة العرب المشهورين ممن كان لهم بياح كبير في معرفة تفاصيل ودقائق الأنساب كـ "محمد بن السائب الكلبي" (ت: 146 هـ) وابنه "هشام" (ت: 204 هـ)، والذين لم تذكر لنا تراجمهم وسيرهم الذاتية أية معرفة لهم بالعبرية، بحيث كان اعتمادهم في تلك المقابلة إنما يعتمد على ما وصلهم من أعمال النقل والترجمة في الخطوة السابقة من أسماء ذلك النسق اليقطاني التوراتي بلفظها العبراني مرسومة بالأحرف العربي. على أن اعتمادهم عليها كما وصلتهم بذلك الرسم العربي، وما قد يتبع دخولها دائرة الرسم العربي - باعتبارها أسماء غريبة - من تعرض بعضها للتصحيفات النسخية المتعددة التي قد تخرج بها أحياناً عن مجانستها للفظها العبراني - وهو ما سبق وأوضحنا إمكانية حدوثه خلال طرحنا المتعلق بالجدول المرفق (شكل 1)⁽¹¹⁶⁾ - قد قادهم بدوره إلى جعلهم يتعرضون أحياناً للاعتماد على الصور المصحفة لبعض تلك الأسماء ضمن عملية المقابلة الكلية لأسماء النسق. هذا مع تفاوت عدد الأسماء التي تم استخدامها من النسق اليقطاني التوراتي المترجم في تلك العمليات من المقابلة وذلك فيما بين كل محاولة وأخرى من محاولات أولئك النسابة كل منهم بحسب ما هداه اجتهاده. وأما فيما يتعلق بما تبقى من أسماء النسق اليقطاني التوراتي خارج نطاق المقابلة فإننا نجد بعضهم قد يثبتها في نسقه كما هي برسمها العربي مسجلاً أو غير مصحف، وقد لا يذكرها إطلاقاً.

- وثمة محاولات أخرى اعتمدت في تشكيلها لأنساقها النسبية القحطانية على أعمال الترجمة والنقل المباشر من العهد القديم التي استمرت

(116) تعد مسألة تعرض العديد من الألفاظ في نسخ الأدبيات العربية الإسلامية الخطية، وبخاصة الأسماء منها، للتصحيف من المسائل المعروفة جيداً والمسلم بكثرة ورودها عند الباحثين المهتمين بالمصادر العربية الإسلامية، بل وحتى عند من لهم خبرة وتعامل مع الوثائق الخطية العربية الأخرى بشئ أصنافها والتي تعود حتى إلى بضعة قرون قليلة سابقة. للإطلاع أكثر على حقيقة ورود مسألة التصحيف في الكتابات العربية الإسلامية أنظر على سبيل المثال: كتاب أخبار المصحفين، لأبي أحمد الحسين بن عبدالله العسكري (ت: 382 هـ)، تحقيق/ إبراهيم صالح، دمشق 1995.

مزامنة لها ومن ثم المُقابَلة على أساسها، وأيضاً على أعمال الترجمة والنقل والمحاولات الخاصة بالخطوة الأولى، وكذلك أيضاً على الأنساق النسبية القحطانية التي شكلتها المحاولات المسبقة لكبار النسابة العرب في الخطوة الثانية، لتصل جميعها بصورة تراكمية في هذه الأنساق التالية. على أن ما تبع الرسم العربي لبعض أسماء أنساق كلي الخطوتين السابقتين من تصحيف نسخي أيضاً وما نشأ عن ذلك من ورود للاسم الواحد أحياناً بصور مختلفة بين كل رواية وأخرى - بل وفي إطار الرواية الواحدة والتي قد تصل من مصادر نسخية متعددة. كل ذلك قد أدى إلى تكرار ورود بعض الأسماء مرتين في نفس النسق الجديد الواحد، أي الاسم وصورته المصحفة التي تم احتسابها اسماً آخر. كما نشأ عن تلك العملية النقلية التأليفية - أحياناً - تكرار آخر للاسم بصورتيه المُقابَلة والغير مُقابَلة في نفس النسق النسبي الواحد⁽¹¹⁷⁾.

كما يتوجب علينا في نفس الوقت الأخذ في الاعتبار، إضافة إلى كل ما سبق، بأن النسق النسبي القحطاني التوراتي إنما يتشكل من 13 اسماً فقط (الموداد، شائف، حصرميت، يارح، هدورام، أوزال، دقله، عوبال، أبيمايل، شبا، أوفير، حويله، يوباب)، بينما يتشكل النسق النسبي القحطاني الذي نقله لنا الهمداني عن "السجل" من 24 اسماً (يعرب، السلف، يشجب، أزال، يكل، خولان، الحارث، غوثا، المرتاد، جرهما، جديسا، المتمنع، المتلمس، المتغشمر، عبادا، ذاهوزن، يمنا، القطامي، نباتة، حصرموت، سماكا، ظالما، خيارا، المشفتر) وذلك في مفارقة عديدة كبيرة. ولتبيان كيفية حدوث ذلك على ضوء الجدول المرفق (شكل: 2) يتضح لنا ما يلي:

إن أقدم ذكر للنسق النسبي المنتمي لقحطان رأساً يأتيها عن "عبيد بن شرية الجرهمي" (ت: 67 هـ)، وهو رجل إخباري معمر أدرك الجاهلية والإسلام⁽¹¹⁸⁾.

(117) وإضافة إلى كل ذلك العمل التراكمي هناك أيضاً محاولة فردة في المقابلة قام بها "ابن خلدون" (ت: 808 هـ) بمعزل عن ذلك العمل التراكمي، أنظر كتابه السابق، ج 2، 8. ورغم أنه لم يذهب بعيداً عن تلك الأعمال، إلا أن محاولته الفردة تلك في مقابلة الإسم التوراتي بما يقابله على أساس اللفظ من إسم عربي لقبيلة بمنية نقدينا كنموذج يوضح لنا كيفية حدوث المقابلات الأولى القديمة المتعلقة بذلك العمل التراكمي.

(118) عن ترجمة "عبيد بن شرية الجرهمي" تلك أنظر على سبيل المثال: الهمداني، إكليل ج 8، تحقيق/ نبيه أمين فارس، بيروت، 161؛ ابن النديم (مصدر سابق) 102؛ الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والنبين، تحقيق/ علي أبو ملجم، بيروت 1988، ج 1، 290؛ ابن قتيبة (مصدر سابق) 297؛ بروكلمان (مرجع سابق) ج 1، ترجمة/ عبد الحليم النجار، 250-251.

ويرد نسقه النسبي في ثلاث روايات تنسب إليه⁽¹¹⁹⁾ يشتمل كل منها على عدد 16 اسماً تمثل كل مرة نفس النسق بنفس تتالي وترتيب الأسماء إلا من تصحيفات نسخية طفيفة بينها يكشفها لنا السياق الترتيبي والعدي المتشابه في تلك الروايات. ولا يعرف شيء عن مصدره الذي نهل منه ذلك النسق، إلا أن "أبو حنيفة الدينوري" (ت: 282 هـ) يورد في كتابه "الأخبار الطوال"⁽¹²⁰⁾ نسقاً نسبياً آخر لأبناء قحطان ينسبه لشخصية نسابة أخرى هي شخصية "الكيس النمري"، ويتشكل ذلك النسق من 9 أسماء فقط تكاد أن تكون جميعها مطابقة لما يماثلها من نسق "عبيد بن شرية" ليتشابه كلا النسقين النسبيين رغم كون نسق "الكيس النمري" أكثر اختصاراً. وعن شخصية "الكيس النمري" يذكر عنه - وبإجماع - كل من "ابن الكلبي" (ت: 204 هـ) في كتابيه "النسب الكبير"⁽¹²¹⁾ و"جمهرة النسب"⁽¹²²⁾ وكذلك "ابن حزم" (ت: 384 هـ) في جمهرته⁽¹²³⁾ و"الجاحظ" (ت: 255 هـ) في "البيان والتبيين"⁽¹²⁴⁾ أنه كان نسابه قديم مشهور، كما يذكره "ابن النديم" (ت: 335 هـ) في كتابه "الفهرست"⁽¹²⁵⁾ في سياق الترجمة الخاصة بعبيد بن شرية - وباقتضاب شديد - على اعتباره نسابة عربي كان إحدى المصادر التي نقل وروى عنها عبيد بن شرية. إن ذلك إضافة إلى تماثل نسقيهما النسبيين قد يدل على أن الكيس النمري الجاهلي القديم هو المصدر الذي نقل عنه عبيد بن شرية - في علاقة نقلية ما - نسقه النسبي القحطاني الأكثر طولاً⁽¹²⁶⁾.

(119) أنظر تلك الروايات في: "أخبار عبيد بن شرية الجرهمي"، جمعها/ أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت: 218 هـ)، ملحقه في قسم منفرد بكتاب التيجان لـ وهب بن منبه (مصدر سابق) 410. وكذلك أنظر: شرح القسيمة الحميرية لـ نشوان بن سعيد الحميري (ت: 573 هـ) المعروف بـ "خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك النابغة"، تحقيق/ المؤيد والجرافي، تحت عنوان "ملوك حمير وأقيال اليمن" بيروت 1986، 7.

(120) أنظر: الدينوري، أبوحنيفة، الأخبار الطوال، تحقيق/ عبد المنعم عامر، القاهرة 1960، 7.

(121) أنظر: ابن الكلبي، هشام، نسب معد واليمن الكبير (مصدر سابق) مجلد 1، 100.

(122) أنظر: ابن الكلبي، هشام، جمهرة النسب، تحقيق/ محمود فردوس العظم، ج 2، 322.

(123) أنظر: ابن حزم، أبو محمد، جمهرة أنساب العرب، مراجعة/ لجنة من العلماء، بيروت 1983، 301.

(124) أنظر: الجاحظ (مصدر سابق) ج 1، 262. وأنظر عنه أيضاً: الحموي، ياقوت، المقضب، تحقيق/ ناجي حسن، بيروت 1987، 8.

(125) أنظر: ابن النديم (مصدر سابق) 102.

(126) وحول قرب نسق الكيس نقلياً من نسق عبيد بحكم ذويانه جميعه فيه، مع بعده عن اعتباره مصدراً نقلياً مباشر لنسق عبيد بحكم قصره عنه، ومدى انعكاس ذلك على شخصية الكيس النمري ذاته كصاحب للنسق السابق الذي أورده الدينوري كمصدر نقلي مباشر - كما يورد ابن النديم - لعبيد بن شرية الذي ينبغي أن يكون قد نقل عنه نقلاً مباشراً كل نسقه النسبي الأكثر طولاً، فإننا نجد بأن ابن الكلبي (جمهرة، مصدر سابق، ج 2، 322) يزيد

ومجمل القول فإنه يظهر في كلي النسقين النسبيين السابقين، علاوة على قدمهما، صيغتهما العربية الصرفة ونقاؤهما الكلي من أية مقابلة مع النسق النسبي اليقطاني التوراتي وعدم مماثلة ما يشتملانه من أسماء للتسمية "حويلا" برسمها العربي بألف اللين لا لفظاً ولا رسماً، مما يجعلنا نجزم بأن ذلك النسق النسبي القحطاني إنما يمثل أصلاً الصورة الروائية الأنسابية العربية الصرفة لنسق أبناء قحطان النسبي.

في ترجمته السابقة لشخصية الكيس النمري النسابة بإيراده للخلاف حول شخصيته المتذبذبة في سلسلة أسرية مكونة من جد يحمل اسم الكيس وبعض من الأحفاد الذين حملوا اسمه إما كاسم يطلق عليهم أو كلقب مضاف إلى أسمائهم وجميعهم نسابة، ليتكرر بذلك ورود اسم "الكيس النمري" النسابة عدة مرات في تلك السلسلة الأسرية ومن مراحل متعددة. ويفصم ابن الكلبي ذلك الخلاف بقوله بأن جميعهم نسابة من آخرهم إلى الكيس الجد نفسه في نفس تلك السلسلة الواحدة، مما يدل على أن اسم الكيس النمري الجد قد طغى على بقية أفراد أسرته (أحفاده) النسابة، والذين ظلوا يتوارثون رواية الأنساب أباً عن جد إنتهاءً بشخصيته، ليطلق عليهم جميعاً. إن هذه العبارة تجعلنا تأخذها بعين الاعتبار جنباً إلى جنب مع تعدد صور الأسماء في نسق عبيد بن شرية والتي يمكن أيضاً مقابلتها بالاسم الواحد في نسق الكيس النمري الأقدم، مما قد يعكس درجات متعددة من عمليات التصحيف النسخي التي تعرضت لها رواية الكيس النمري السابقة قبل أن تصل إلى عبيد بن شرية بحيث نشأ عنها تكرار للاسم وصوره المصحفة في الروايات الأكثر تأخراً بنفس صور التكرار التي تحدثنا عنها مسبقاً، لن نعدمها في بقية أفراد أسرة الكيس الذين رويوا عنه وحملوا اسمه ونقل عن أحدهم عبيد بن شرية نسقه الطويل السابق. ويؤكد ذلك أكثر أن ابن النديم (مصدر سابق، 102) قد ذكر إلى جوار الكيس النمري اسماً لشخصية أخرى نقل عنها أيضاً عبيد بن شرية وهي شخصية "زيد بن الكيس النمري" دون أن تدلل الأداة "بن" في ذلك الاسم على أبوة الكيس المباشرة لزيد كما اعتقد ابن النديم، فقد أوردت الأدبيات العربية الإسلامية أسماء لشخصيات نسابة أخرى تنتسب إلى الكيس بالأداة "بن" رغم تموضع بعضها إثنائياً إليه في درجة الأحفاد مثل "عبيد بن الكيس (ابن النديم، مصدر سابق، 372؛ ابن الكلبي، جمهرة، مصدر سابق، ج 2، 322؛ ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج 3، 359)، ومالك بن الكيس (ابن الكلبي، جمهرة، مصدر سابق، ج 2، 322؛ ابن حزم، مصدر سابق، 301)". وبكيفية لتأكيد جاهلية وقدم الكيس ومن يليه من عقبه -بما فيهم زيد بن الكيس- الذين روى عنهم عبيد بن شرية وسبقهم الزمني له -أي لعبيد- أن عبيد بن شرية (ت: 67 هـ) كما تورد الأدبيات العربية الإسلامية شخص معمر عاش في الجاهلية سطرًا كبيراً من حياته وأدرك الإسلام (أنظر فيما يتعلق بمصادر ترجمته الحاشية السابقة رقم 118) مما يجعله روائياً محسوباً على العصر الجاهلي وهو ما يصرح به على سبيل المثال "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" (مصدر سابق، مجلد 1، 290) وذلك في إعتباره لعبيد بن شرية روائي جاهلي، وبالتالي فإن رواية عبيد بن شرية الأنساب عن الكيس النمري وزيد بن الكيس وفقاً يذكره ابن النديم يقتضي منطقياً غور الكيس النمري وزيد بن الكيس قدماً في صميم العصر الجاهلي وسبقهم الزمني لعبيد بن شرية. وإجمالاً فإن ذلك يجعل من زيد بن الكيس النمري بحكم تموضعه في موضع التقدم المباشر لعبيد بن شرية هو المرتبط روائياً وبصورة مباشرة بعبيد بن شرية وليس "الكيس النمري" والذي يبتعد عهده كثيراً عن مجال التبعاصر الزمني مع عبيد شرية بحكم أبوته في درجة ما لزيد. ولا مانع مع ذلك من أن تكون روايات الكيس النمري النسبية قد وصلت روائياً إلى عبيد بن شرية بواسطة زيد بن الكيس -وقد يكون ذلك هو ما جعل ابن النديم يعتد بها معاً (أي الكيس النمري وزيد بن الكيس) مصدراً روائياً لعبيد بن شرية- ولكنها وعبر تلك المحطات الروائية وصلت (فيما يتعلق بالنسق القحطاني) إلى عبيد بن شرية بصورة أكثر سعة من النسق القحطاني المنسوب للكيس النمري رأساً والذي أورد أبو حنيفة الدينوري في كتابه السابق بنفس الطريقة التي أسلفنا.

ومقابل ذلك تأتينا في نفس الوقت أقدم ترجمة عربية للنسق النسبي اليقطاني التوراتي وهي تلك التي يوردها لنا "ابن عبدربه" (ت: 327هـ) في كتابه "العقد الفريد"⁽¹²⁷⁾ ناسباً إياها لشخصية رأوية الحديث "عبد الله بن ملاذ" (القرن الأول الهجري)⁽¹²⁸⁾ الذي قام بنقلها من التوراة إلى الرسم العربي مع بقاء احتفاظها بنفس لفظها في العبرية، ومع ورود "حويلا" مرسومة بالألف الطويلة وفقاً لنطقها في العبرية، بحيث تظهر أسماء ذلك النسق مختلفة تماماً لفظاً ورسمياً وعدداً عن أسماء القبائل بالنسق النسبي القحطاني العربي الوارد في الروايات السابقة الخاصة بـ "الكيس النمرى" و"عبيد بن شرية"، ومتضمنة في نفس الوقت لأول محاولة في مقابلة النسق اليقطاني التوراتي بما يشمله من أسماء القبائل المترجمة مع ما يقابل لفظها العربي من أسماء القبائل العربية القحطانية. ويصرح "ابن ملاذ" عن تلك المحاولة بوضوح في نفس روايته تلك بإيراده لعملية المقابلة ذاتها بين الاسم العبراني وما يقابله من اسم عربي ذاكراً معاً كلا الاسمين، وبإحلاله للمسمى "قحطان" محل "يقطان". ولم يتعرض "ابن ملاذ" خلال تلك المقابلة لأسماء النسق القحطاني في روايات "الكيس النمرى" و"عبيد بن شرية" السابقة إلا لاسمين منها فقط هما: "يعرب" الذي أرفقه بالمسمى "المرعف" كأول أبناء قحطان، و"حرهم" الذي قابله بـ "هدورام"، أما بقية الأسماء التوراتية فقد قابله بأسماء عربية يمانية أخرى لا علاقة لها بالنسق القحطاني الخاص بـ "الكيس النمرى" و"عبيد بن شرية" كـ "سبا" مقابل "شبا"، و"المسلف" - تصحيف نسخي لاحق لـ "السلف" - مقابل "شالف"، و"تكلا" مقابل "دقلى" مع ملاحظة التقارب الصوتي بين "الدال والهاء" و"القاف والكاف" و"الألف المقصورة والألف الطويلة"، تاركاً "ابن ملاذ" بقية الأسماء الخاصة بالنسق اليقطاني التوراتي - التي أصبحت أيضاً قحطانية - برسمها العربي دون مقابلة ليتعرض بعضها فيما بعد للتصحيف النسخي في "الموداد" أصبحت "المرداد" و"يوباب/يوبب" بدون تنقيط" صحفت فيما بعد لتصبح "نوبت".

وتلى "ابن ملاذ" شخصية أخرى يمانية إخبارية هي شخصية "وهب بن منبه" (ت: 114هـ)⁽¹²⁹⁾ الذي نجده يقوم، علاوة على إيراده المقابلة المسبقة فيما

(127) أنظر: ابن عبد ربه (مصدر سابق) مجلد 3، 368.

(128) عن شخصية رأوية الحديث عبد الله بن ملاذ الأشعري، أنظر ترجمته لدى: الحافظ، التهذيب 6، 43-44، ترجمة 90.

(129) أنظر: ابن منبه (مصدر سابق) 55.

يخص "السلف" و"جرهم"، بإيراد "حضر موت" أيضاً التي لا يقابلها لفظاً إلا "هذاراموت" وكذلك "عاد/ تصحيف نسخي لـ عباد" و"أيمن" واللذين لا يقابلهما رسماً إلا "عيال/ عبال" و"أيما" مع احتمال أن حدوث تصحيف رسمهما العربي إلى تلك الصور إنما طرأ على رواية "وهب بن منبه" في مراحل نسخية تالية. كما يذكر "وهب بن منبه" خمسة أسماء أخرى لا يوجد ما يشابهها في النسق التوراتي وإنما في النسق القحطاني العربي الخاص بروايات "الكيس النمري" و"عبيد بن شريّة" إلى حد كبير، مع ضربه صفحاً عن ذكر بقية الأسماء اليقطنانية التوراتية التي ربما لم يجد ما يقابلها بالعربية.

وتخرج تلك المحاولات وبصورة كبيرة من دائرة المقابلة اللفظية إلى دائرة الاعتماد الثقافي على مقابلتها التي تمت في المحاولات السابقة أو على صورها التي لم يتم مقابلتها وأثبتت في المحاولات السابقة برسمها بالحرف العربي المتعرض للتصحيف النسخي، وذلك في الأعمال التالية والخاصة بكبار النسابة العرب كـ "محمد بن السائب الكلبي" (ت: 146 هـ) و"الهيثم بن عدي" (ت: 207 هـ) و"هشام بن محمد بن السائب الكلبي" (ت: 204 هـ) وكلهم - كما يتضح من تراجمهم وسيرهم الذاتية - كان على علم ومعرفة وشهرة بتفاصيل الأنساب العربية ودقائقها. كما أنه لم يذكر لهم أية معرفة بالعبرية و"العهد القديم"⁽¹³⁰⁾. ولذا نجدهم قد أدرجوا في أنسابهم القحطانية أغلب أسماء النسق القحطاني العربي الخاص بروايات "الكيس النمري" و"عبيد بن شريّة" - وبتصحيفات نسخية بسيطة - جنباً إلى جنب مع الأسماء اليقطنانية التوراتية التي اعتبرت قحطانية في المحاولات السابقة وقوبلت فيها بأسماء عربية أو تلك التي أثبتت بلفظها العبراني مرسومة بالحرف العربي، مع محاولتين جديدتين قاموا بها فيما يتعلق بمقابلة الاسم "نوبت" - والذي يعتبر صورة مصحفة نسخياً للاسم "يوب" في رواية "ابن ملاذ" - بالاسم "نباتة"، وكذلك الاسم "أوفير/ يوفير"⁽¹³¹⁾ بالاسم "بوقير/ يوقين" بل وربما أيضاً بـ "يعزر" الاسم الوحيد الذي جاءنا عن "الهيثم بن

(130) فيما يتعلق بتراجمهم تلك، أنظر: ابن النديم (مصدر سابق) 107-113؛ ابن قتيبة (مصدر سابق) 298، 299؛

بروكلمان (مرجع سابق) ج3، ترجمة/ عبد الطيم النجار، 30-35.

(131) أنظر أيضاً فيما يتعلق بالرسم الآخر لـ "أوفير" -بالباء بدلاً من الهمزة- "يوفير" قيام ابن خلدون (مصدر سابق،

ج2، 8) برسمها أيضاً رسماً مشابه (أيوفير) في عمله الذي قام فيه بنقل تلك الأسماء اليقطنانية من التوراة رأساً

وبصورة مستقلة عن تلك المحاولات السابقة.

عدي" (منفرداً) ومن نفس تلك الفترة منسوباً لقحطان⁽¹³²⁾ ربما كمقابلة منه أيضاً قابل بها صورة نسخة مصحفة لـ "أوفير/يوفير"⁽¹³³⁾.

هذا مع استمرار محاولات المقابلة اللفظية في إطار أضيق فيما يخص بعض الأسماء اليقطانية التوراتية التي لم تشملها المقابلات المسبقة وذلك لاستمرار حركة الترجمة والنقل من العهد القديم رأساً وهو ما يتضح أيضاً من خلال ما يورده "محمد بن إسحاق" (ت: 151 هـ) - والذي يعد أيضاً وفقاً لترجمته وأعماله أحد ممثلي استمرارية حركة النقل هنا⁽¹³⁴⁾ - من ذكر لبعض أسماء النسق القحطاني أو "أبناء يقطن بن عابر" والذي وإن لم يكن قد أتاناً فيها بشيء جديد إلا أنه أثبت من جديد رسم "حويلا" بالحرف العربي دونما مقابلة لينقله عنه الهمداني مصحفاً "جربلا"⁽¹³⁵⁾ أو أنه نُقل عن "الهمداني" في مراحل نسخية تالية بتلك الصورة المصحفة. على أن "أبا طاهر المقدسي" (ت: 390 هـ) ينقل أيضاً في كتابه "البدء والتأريخ"⁽¹³⁶⁾ نفس أسماء ذلك النسق عن "ابن إسحاق" وضمن طرح نصي متتام له ينسب فيه "إبن إسحاق" بدوره ذلك النسق إلى "أهل اليمن"⁽¹³⁷⁾. كل ذلك يدل على أن حويلا اليقطانية بشكلها المرسوم بالحرف العربي المنقول عن التوراة في نسبة إلى قحطان كانت معروفة عند من أسماهم

(132) أنظر رواية الهيثم تلك عند: الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق) 192.

(133) إذا أخذنا في الاعتبار ما كان شائعاً من إهمال للتقطيع (الإعجام) فإن نبرة الباء الثانية في "يوفير" لن تمثل عائقاً في تلك المقابلة إذ لا يوجد تنقيط يميزها أكثر بحيث يمكن بالتالي إسقاطها أو إهمالها حال النسخ، أنظر أيضاً أمثلة أخرى على ذلك الإهمال للنبرات في الجدول السابق (شكل: 1).

(134) أنظر فيما يتعلق بترجمته: إبن النديم (مصدر سابق) 105، وكذلك أيضاً: الشرقاوي، عفت محمد، أدب التأريخ عند العرب-فكرة التأريخ، نشأتها وتطورها، بيروت، 256.

(135) أنظر عن نقله ذلك النسق: الهمداني، إكليل ج 1 (مصدر سابق) 146، 157، 158، 160.

(136) أنظر: المقدسي (مصدر سابق) ج 4، 105، مع تصحيف "حويلا" في نسختين منه إلى "حذيل"، حذيل.

(137) ومما يدل على معرفة أهل اليمن بذلك ما يورده لنا، وإن من مرحلة متأخرة نسبياً، المؤرخ أحمد بن عبد الله الرازي (ت: 460 هـ) في موضعين من كتابه "تأريخ مدينة صنعاء، تحقيق/ حسين العمري، بيروت/ دمشق 1989" وفي إرجاع روائي يعبر عنه المؤلف مرة من خلال اللفظة "يقال" عادة ربما على الصناعيين الذين كان المؤلف يكثر نقل عنهم، ومرة من خلال رواية أخرى محلية يسوقها بإسنادها، قائلاً في الأولى منهما (ص 70-71) بأن صنعاء إنما سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر، وسميت اليمن بأيمن بن يقطن بن عابر وسبأ بسبأ بن يقطن بن عابر وحضرموت بحضرموت بن يقطن بن عابر، قائلاً أيضاً بأن حضرموت في التوراة هو حضرموت/حاضرमित. أما في الثانية (ص 74) فيذكر أنه كان ليقطن بن عابر بن سام بن نوح أربعة عشر ابناً سميت القرى بأسمائهم منهم أزال (وفق المقابلة مع أوزال) وهي صنعاء، غفار (ربما وفق المقابلة مع عوبال أو أوفير) وهي غيمان، ودقلا وهي يكل.

"ابن إسحاق" بـ "أهل اليمن" خلال منتصف القرن الثاني الهجري التي هي فترة "ابن إسحاق".⁽¹³⁸⁾

وفيما يتعلق بالنسقين النسيبيين القحطانيين الخاصين بـ "الزبور القديم" و"السجل" اللذين يوردهما لنا "الهمداني"⁽¹³⁹⁾ وما يعرض لنا بحياهما من تساؤل حول مدى وجود علاقة تربطهما بالجانب النقلي التراكمي الخاص بالمحاولات المسبقة من عدمها، فإن احتمال أن تكون المقابلات التي يتضمنها - والتي تظهر ثابتة في كلتي الحالتين - قد حدثت في مرحلة أقدم أو بصورة مستقلة في بيئة كتابية كاليمن، نجده يتضاءل أمام ما يبدو جلياً من أن بعضاً من تلك المحاولات المسبقة على الأقل قد وصل بصورة تراكمية - بنفس النمط السابق إيضاحه - إلى هذين النسقين، أي أنه تم تأليفهما من بعض تلك المحاولات المسبقة وما يقتضيه ذلك التأليف منها - وفقاً لما أوضحناه سلفاً - من تكرار لورود الإسم في النسق الواحد بصورتيه المُقابِلة والغير مُقابِلة والمصحفة والغير مصحفة - نتيجة لما طرأ على تلك المحاولات المسبقة من تصحيف نسخي - وهو ما نلمس حدوثه جلياً في هذين النسقين. على أن النسق الخاص بالزبور القديم سيكون قد شكل خطوة نقلية نهائية تم النقل المباشر عنها في نسق السجل، ومع

(138) وهنا تعرض لنا الرواية الرابعة المنسوبة لعبيد بن شرية أيضاً (أخبار عبيد بن شرية، مصدر سابق، 237)، والتي تظهر رغم نسبتها له مختلفة من حيث الترتيب والعدد عن رواياته الثلاث الأولى المتماثلة مما يجعلها شاذة عنها، إضافة إلى إشتغالها على بعض أسماء إنما نتجت عن المحاولات التالية زمناً لروايات عبيد الثلاث السابقة كـ "حضر موت" في نسق وهب بن منبه والذي نقلها عنه محمد بن السائب الكلبي، وإشتغالها أيضاً على أسماء أخرى ترجع لمحاولات إبن الكلبي (محمد وإبنه هشام) كـ "الحارث" و"تحاسم" المصحف نسخياً وبصورة واضحة من "غاشما" عند هشام بن الكلبي، إضافة أيضاً إلى عدم إشتغالها على بعض الأسماء التي لم تشملها روايات إبن الكلبي رغم ورودها في روايات عبيد الثلاث السابقة كـ "أنمار" و"المعتم"، بحيث تبدو أكثر قرابة ومجانسة لروايات إبن الكلبي منها لروايات عبيد الثلاث السابقة. ومن ثم فإن ذلك كله يجعلنا نضع تلك الرواية (الرابعة) في مرحلة تالية زمناً لروايات إبن الكلبي. ويعضد ذلك أكثر ما ينبغي علينا أخذه في الاعتبار من أن جامع أخبار عبيد بن شرية هو "عبد الملك بن هشام المعافري (ت: 218 هـ) المعاصر لهشام بن الكلبي والناقل عنه وعن إبيه (محمد بن السائب الكلبي) أيضاً والمتأخر عنه وفاة. أنظر فيما يتعلق بترجمة عبد الملك بن هشام بروكلمان (مرجع سابق) جـ 1، ترجمة/ عبد الحليم النجار، 252، جـ 3، نفس الترجمة، 12-15، وأنظر فيما يتعلق بجمعه أخبار عبيد بن شرية الجرهمي: أخبار عبيد بن شرية (مصدر سابق) 352، وأنظر أيضاً فيما يتعلق بنقولاته عن إبن الكلبي إشاراتِهِ هو نفسه إلى ذلك خلال سردهِ الروائي في: إبن منبه (مصدر سابق) 141، 222، 223، 250.

(139) - أنظر: الهمداني، إكليل جـ I (مصدر سابق) 192-193، 204-205.

دخول محاولات جديدة في المقابلة في كلي النسقين لا يمكن أن تتأتى إلا من قبل نسبة ذوي معرفة دقيقة بأنساب اليمن وبالتورا، وذلك كالتالي:

فبالنسبة لنسق الزبور القديم:

فإننا نجده فيما يقابل الشق القحطاني متضمناً عدداً كبيراً من أسماء هذا الشق، بصورها الثابتة والمصحفة نسخياً، ومن ضمنها الاسم "خيار" الذي لا يرد بتلك الصورة إلا عند "عبيد بن شرية" في رواياته الثلاث الأولى، بينما ورد في روايات "إبني الكلبي" مصحفاً بالصورة "حارث" الذي لم يشمله نسق الزبور القديم. كما يشتمل أيضاً على أسماء مأخوذة من "إبني الكلبي" كـ "المتغشم" عند "هشام بن الكلبي"، الصورة المصحفة نسخياً وبشكل مباشر عن "المتغشم"، والتي إنما تظهر أول ما تظهر بتلك الصورة المصحفة مباشرة في نسقه هو⁽¹⁴⁰⁾. أما الإسمان "طسم" و"جديس"، واللذان لم نجد ما يقابلهما هنا، فربما جاء من محاولات مسبقة لم تصلنا، أو قد يكونا مقابلين لصورتين مصحفتين لإسمين من أسماء هذا الشق نقلنا هنا عن محاولة مسبقة لم تصلنا. أما بقية الأسماء في هذا النسق فيما يقابل الشق البيقطناني التوراتي، والتي تكاد أن تغطيه تماماً، فهي كالتالي:

- نبأقة: عن "إبني الكلبي".
- حزموت والسلف: عن "وهب بن منبه" و"محمد بن السائب الكلبي".
- المرتاد: مقابلة خاصة بهذا النسق عن "المرداد" الصورة المصحفة نسخياً لـ "الموداد" عند "عبدالله بن ملاذ"، مع ملاحظة التقارب الصوتي بين الدال والتاء.

(140) وما يدل، إضافة إلى ما أوردناه هنا، على الأهمية التي لعبتها الأعمال الأنسابية الخاصة بابني الكلبي في مجال الأعمال المحلية لدراسة ورواية الأنساب اليمنية والتي نطلق عليها "المدرسة المحلية في رواية الأخبار والأنساب اليمنية" (السلامي، مرجع سابق، 56-58)، أنه كان يتم وفي أحيان كثيرة الاستناد المرجعي إليها في عملية استيضاح الكثير من قضايا الأنساب اليمنية وذلك من قبل بعض النسابة المحليين أنفسهم والذين كان يعتبرهم الهمداني مصدراً من مصادره في عملية تجميعه لروايات الأنساب المحلية كـ "الأبرهي". ولا أدل على ذلك من أننا نجد الأبرهي وقد قام -إضافة إلى رواياته المتعددة عن ابن الكلبي- بنقل النسق النسبي القحطاني بشكل يكاد أن يكون تاماً من هشام بن الكلبي (أنظر: شكل: 2؛ الهمداني، إكليل ج 1، مصدر سابق، 192). بل وكذلك نجد الهمداني نفسه ينقل عن إبني الكلبي مصرحاً بذلك ومعتداً لأعمالهما فيما نستطيع أن نطلق عليه "مدرسة" أو "تجاه" في رواية الأنساب اليمنية هي "المدرسة الشامية/الشمالية" وفق تعريف الهمداني لعناصرها بالشاميين (السلامي، مرجع سابق، 56-58).

- يامنا: محاولة أخرى خاصة بهذا النسق عن "ابيمال" عند "ابن ملاذ".
- سالف/هذرم: صورتان مأخوذتان عن اللفظ الأصلي للإسمين في التوراة، "سلف" مقابل "سالف" مع ورودهما معاً -تكرار لنفس الإسم- في هذا النسق، و"هذرم" مقابل "جرهم".
- غوثا: محاولة أخرى مصحفة نسخياً عن "عوبال" عند "ابن ملاذ"، مع الأخذ في الاعتبار أن الباء في "عوبال" التوراتية غير معجمة أي أنها تنطق نطقاً قريباً من الفاء التي قد يخلط في العربية أحياناً فيما بين نطقها ونطق الثاء، ولذا نجد "ابن خلدون" فيما بعد، والذي قام بنقل تلك الأسماء من التوراة رأساً، يكتبها "عوثال" بالثاء⁽¹⁴¹⁾.
- يكلّا: محاولة أخرى مصحفة نسخياً عن "تكلا" عند "ابن ملاذ" الذي قابلها بـ"دقلا" التوراتية.
- ذاهوزن: محاولة أخرى من المقابلة مع "أوزال" التوراتية.
- لا يوجد في هذا النسق ما يقابل "حويلا" أو "سبأ" أو "أوفير".

وأما النسق الخاضع بالسجل:

فإننا نجد أن مجموعة الأسماء المقابلة فيه للشق القحطاني هي نفسها الأسماء المقابلة لهذا الشق في نسق الزبور القديم السابق. وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد فيها اسم "الحارث" نقلاً عن "إبني الكلي"، وهو الصورة المصحفة نسخياً عن "خيار" عند "عبيد بن شربة"، ليمثل ورودها في هذا النسق مع صورتها الأصلية "خيار" تكراراً لنفس الاسم⁽¹⁴²⁾. وكذلك "المشقر" الذي يعد صورة مصحفة نسخياً عن "المتغشمر" تم نقلها على ما يبدو من محاولة مسبقة لم تصلنا، ليمثل ورودها هنا جنباً إلى جنب مع "المتغشمر" تكراراً لنفس الاسم. مع زيادة الاسم "يشجب" في هذا النسق مقابل اختفاء "طسم" التي وردت في نسق الزبور القديم.

(141) أنظر: ابن خلدون (مصدر سابق) ج 2، 8.

(142) "حارث" هو مقابلة للصورة "حار" المصحفة نسخياً عن "خيار" -دونما تنقيط-، مع العلم أن اللفظة "حار" عند العرب هي ترخيم للإسم "حارث". وفيما يتعلق بهذا الإسم وتصحيقاته (أنظر شكل: 2) فإننا لاستبعد أن تكون هناك مرحلة مجهولة تالية لعبيد بن شربة سبقت مرحلة إبني الكلي تم فيها تصحيف "حار" إلى "جابر/خابر"، لتمثل المرحلة الأولى من التكرار المتعلق بذلك الإسم -أي الجمع فيما بين المسمى الأصل "حار" من نسق عبيد بن شربة مع صورته المصحفة "جابر/خابر" من ذلك النسق المفترض المجهول الذي يليه- في نسق إبني الكلي. مع تمييز إبني الكلي في نسقيهما بين كلي الصورتين المتشابهتين "حار" و "جابر/خابر" برسم "حار"، والذي ربما اعتقده ترخيماً للإسم "حارث"، بصورته التامة "حارث".

أما مجموعة الأسماء المقابلة للشق الـيقطاني التوراتي فهي تملأ هذا الشق بصورة واضحة. وهي في أغلبها منقولة عن الأسماء المقابلة لنفس الشق في نسق الزبور القديم السابق، كـ "المرتاد" و"حضر موت" و"ثباتة" -والتي يؤكد "الهمداني"⁽¹⁴³⁾ ورودها بضم النون التي تقابل بدورها الواو الطويلة في نفس التسمية التوراتية والمثبتة أيضاً في صورتها المصحفة نسخياً عند "ابن ملاذ" مما يدعم حقيقة مقابلتها لتلك التسمية. و"غوثة" و"السلف" مع اختفاء صورتها الأصلية المكررة "سالف"، واختفاء "هذرم" التي حلت محلها "جرهم" كما في المحاولات السابقة، ومع ورود كل من الصورتين "ذاهوزن" - المنقولة عن نسق الزبور القديم - و"أزال" - نقلاً عن "ابن ملاذ" - كتكرار لنفس الاسم. وكذلك "عباد" الصورة المصحفة نسخياً عن "عبال"، وهذا يعزز ما أوردناه مسبقاً من عدم استبعادنا لأن تكون "عاد" عند "وهب بن منبه" إنما هي تصحيف نسخي عن "عبال" - بدون تنقيط - طرأ على روايته فيما بعد بدليل أن "وهب" في رواياته الإخبارية لا يجعل "عاد" من أبناء قحطان أبداً⁽¹⁴⁴⁾. كما ترد "يمنا" والتي هي مقابلة مصحفة لـ "ابيمال" عند "ابن ملاذ"، وكذلك "يكلى" والتي هي محاولة خاصة بهذا النسق قوبلت فيه بـ "يكلا" الواردة في النسق الأسبق، مع ملاحظة التشابه الصوتي بين الألف المقصور والألف الطويلة، ومع الأخذ في الاعتبار أن "الهمداني" يؤكد أيضاً ورودها بكسر الياء⁽¹⁴⁵⁾ الذي يقابل حركة الكسر في نفس الموضع من الاسم التوراتي "دقلا/ تكلا" مما يدعم أكثر حقيقة مقابلتها لتلك التسمية.

وتبقى الأماكن المقابلة لـ "سبأ" و"أوفير" و"حويلا"⁽¹⁴⁶⁾ فقط شاغرة في هذا الشق الذي ملأت خاناته هو والشق الآخر بما يقابلها من أسماء هذا النسق الذي لم يتبق لنا منه كله أيضاً إلا تسمية واحدة فقط هي "خولان" المختلفة في رسمها ولفظها عن كل تلك الخانات الممتلئة، لتقف "خولان" مقابل تلك الثلاث الخانات الفارغة "سبأ، أوفير، حويلا" التي تخرج اثنتان منها "سبأ وأوفير" من إطار احتمالية مقابلتها لـ "خولان" لتبقى لنا خانة واحدة فقط شاغرة هي

(143) أنظر: الهمداني، إكليل ج 2 (مصدر سابق) 119.

(144) أنظر: ابن منبه (مصدر سابق) 32-54.

(145) أنظر: الهمداني، إكليل ج 2 (مصدر سابق) 119، 368.

(146) مع وضعنا هنا للاسم "يارح" جانبا لعدم دخوله دائرة المقابلة منذ البداية، علاوة على عدم مماثلته رسماً لـ خولان.

"حويلا" التي لن نجد لـ "خولان" موضعاً يقابلها لفظاً ورسمياً إلا هي. وهنا يتبادر السؤال عن الأساس الذي بنيت عليه تلك المقابلة بينهما، هل على أساس لفظها في التوراة مباشرة أم على أساس الرسم العربي لتلك التسمية وما يحققه أيضاً من مشابهة لفظية؟ وإجمالاً فكما وأن تحقيقها في الحالة الأولى يعد أمراً محتملاً، فإن تحقيقها في إطار الرسم فقط يعد أيضاً أمراً وارداً يظهره تشابه رسمهما العربي وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار ما كان سائداً من إهمال للتنقيط. ومع عدم اعتبارنا لظهور "خولان" زائدة بالنون في نهايتها -التي تمثل أصلاً أداة التعريف اليمينية القديمة- إشكالاً في تلك المشابهة على أساس الرسم ودليلنا في ذلك من حالة أخرى مشابهة (أنظر: شكل 1) أن العرب قد كتبت "قديماً" التوراتية - التي تنتهي بنفس النهاية "٧٦" التي تنتهي بها "حويلا" - كتبتها "قديماً" بالنون، وسواءً أكان ذلك منهم مقابلة لها عن معرفة مسبقة باسم القبيلة العربية الإسماعيلية "قديمان" أو دونما معرفة مسبقة، فإن إضافة النون في كلي الاحتمالين يسوغ لنا أيضاً عدم اعتبارها بالمثل حائلاً في عملية المقابلة في إطار الرسم بين "حويلا" و"خولان". كما أن الاختلاف الصوتي بين الحاء والخاء لن يشكل إطلاقاً أي عقبة في تلك المقابلة القائمة على أساس الرسم فيما إذا أخذنا في الاعتبار ما كان معروفاً من إهمال للتنقيط، أما في إطار التماثل اللفظي فمن المعروف أن الحاء هي الممثلة في العبرية لصوت الخاء لخلو العبرية أصلاً من الخاء كصوت صامت مستقل.

وعلى أية حال فسواءً أكانت مقابلة الاسم "خولان" في هذا النسق النسبي بالاسم اليقطيني "حويلا" المذكورة في التوراة قد تمت بناءً على مقاربتها لها لفظاً أو رسماً ولفظاً معاً في أي من المحاولات المسبقة أو اعتماداً على ترجمة أخرى لها عن التوراة أو أنها أخذت من محاولة أقدم في المقابلة لم تصلنا⁽¹⁴⁷⁾، فإن

(147) ينبغي علينا فيما يتعلق بهذا الطرح الاحتمالي الأخير أن نأخذ في الاعتبار ما أسلفنا قوله وبالتحديد من خلال ما يذكره ابن إسحاق من وجود معرفة سابقة عند أهل اليمن بـ "حويلا" اليقطينية التوراتية المنقولة عن التوراة والمرسومة بالحرف العربي منتسبة لقحطان فيما يعود إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ووضع ذلك أيضاً جنباً إلى جنب مع ما ينبغي علينا ملاحظته من أن "السجل (= سجل خولان القديم بصعدة)" هو سجل أنسابي وإخباري وأن عناصره الروائية من الإخباريين والنسابة الصعديين وغيرهم - لم تكن بعيدة عن حركة النقل من التوراة آنذاك فقد نقلوا ورووا عن "كعب الأخبار"، أحد أهم النافقين اليمانيين من التوراة (أنظر: الهمداني، إكليل ج 1، مصدر سابق، 129، وكذلك: إكليل ج 2، مصدر سابق، 42، 44)، وبالتالي فلا يستبعد أن تكون معرفتهم بحويلا اليقطينية المذكورة في التوراة قد جاءت عن طريق كهذه.

كل ما سبق كاف لتوضيح أن إدراج خولان في النسق القحطاني الخاص بالسجل ضمن ذلك العدد من الأسماء المتمخضة أصلاً عن مقابلتها بما يماثلها لفظاً ورسماً من أسماء النسق اليقطاني التوراتي - التي ورد بعضها في هذا السجل بنفس لفظها العبري مرسوماً بالعربية - ، مع عدم وجود ما يماثلها في الشق القحطاني الصرف في روايات "الكيس النمرى" و"عبيد بن شرية" وبقية الأنساق النسبية التالية لا لفظاً ولا رسماً، إنما يدل على كونه أيضاً ثمرة لمقابلتها بالتسمية "حويلاً".

كما أن تحليلنا لذلك بناءً على ما تم إثباته من تماثل عناصر كلي النسقين النسبيين بكونه مجرد مقابلة قديمة بينهما، يعد أكثر سلاماً ومنطقية علمية من ورطة الوقوف أمام الخيار الآخر الأكثر خطورة أي أن يكون ذلك النسق القحطاني بالسجل قد صيغ مستقلاً عن النسق اليقطاني التوراتي على ما بينهما من تماثل، والذي نعتبره وفقاً لما سبق أمراً غير منطقي.

وختاماً فإنه يتبادر إلينا التساؤل التالي: هل كانت تنتهي عمليات المقابلة عند النسابة العرب من أصحاب تلك المقابلات وبشكل بسيط باختيار أسماء القبائل العربية الماثلة في رسمها العربي أو رسمها ولفظها معاً للأسماء اليقطانية التوراتية بلفظها العبري المرسوم بالعربية - سواءً على أساس صورها كما هي دونما تصحيف أو صورها التي إعترتها عمليات التصحيف النسخي - ، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار بأن تلك القبائل العربية المستخدمة أسماؤها في عمليات المقابلة كانت آنذاك ممثلةً أنسابياً أيضاً و لا ريب عند أولئك النسابة في الأنساق النسبية العربية الصرفة وضمن درجات إنتمائية أبوية شتى؟

واجابة على ذلك فإنه يجب علينا أن نعلم بأن الأمر لم يقف بالنسابة، وعلى وجه التحديد من أصحاب تلك المقابلات ذوي المعرفة الدقيقة بتفاصيل الأنساب وأسسها وقواعدها، عند ذلك الحد من المقابلة فقط دونما إدخالهم إياها في خضم العملية الأنسابية ككل⁽¹⁴⁸⁾، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن تلك

(148) مع أخذنا في الاعتبار أن ظهور تلك الأسماء اليقطانية منتسبة لقحطان، والتي رأينا كيفية بدايات دخولها النسق القحطاني متمخضة عن عمليات مقابلة بينة تتضح ديناميكيتها بجلاء كما هو الحال عند ابن ملا مثلاً، قد أصبحت فيما بعد عند بقية أصحاب تلك المقابلات، والذين جلمهم من النسابة، حقيقة تجري عمليات المقابلة في إطارها.

الأسماء نفسها التي استخدمت في المقابلة ترد أيضاً في الأنساق النسبية اليمانية الأخرى التي كانت موجودة ومعروفة عندهم حين قيامهم بتلك المقابلات، مع تكرار الاسم الواحد بها عدة مرات في درجات نسبية متفاوتة أنساقها من حيث القدم المبني على الترتيب الأبوي الذي يبدأ في عد تنازلي ابتداءً مما يلي نسق قحطان مباشرة.

فقد قام أولئك النسابة بالربط والدمج بين الاسم القحطاني المتمخض عن المقابلة وبين ما يماثله في إحدى درجات تلك الأنساق النسبية المحلية أو بعضها. وربما كان مدعاة قيامهم بذلك هو ما قد يسببه - في نظرهم كنسابة - الظهور الجديد لتلك الأسماء في النسق القحطاني من استحداث نسبي موضعي جديد للكيان القبلي صاحب الاسم قد يتنافر مع وضعيته النسبية في تلك الأنساق المحلية القديمة بدرجاتها المحددة عدداً التي ربما كان اكتسابه لها إنما هو انعكاس لخلفية إخبارية أو قبلية حية (كتعدد مكاني للكيان القبلي الواحد) ستغيب حتماً فيما يتعلق بموضعه المستحدثة في النسق القحطاني ناهيك عن إخلالها بها عددياً. إن الذي يبدي لنا ذلك هو أننا نجد "الهمداني" مثلاً - وهو الذي جمع في كتابه "الإكليل" الكثير من الأنساق النسبية الخاصة بأصحاب تلك المقابلات إضافة إلى بقية الأنساق المحلية - يقوم حين ذكره لتلك الأسماء في درجاتها النسبية المحلية المتعددة التالية للنسق القحطاني بإرداف الاسم الواحد منها بالقول بأن هناك من نسبه لقحطان رأساً، على أنه إنما يقوم بذلك فقط في حال ذكره لأقدم درجة نسبية منها مدلاً صراحة على أنها هي نفسها في تلك الدرجة فقط التي تم ربطها أو استخدامها في عملية المقابلة تلك دون بقية الدرجات الأخرى الأدنى التي وردت أيضاً فيها. كما نجد بالمقابل أن أصحاب تلك المقابلات قد أهملوا ذكر تلك الأسماء في درجاتها النسبية المحلية القديمة بعد تعطيلها منها ونقلها بمقابلتها بأسماء النسق القحطاني التوراتي وإلحاقها بقحطان منسوبة له رأساً.

وخير مثال يوضح لنا ذلك يتجلى في أهم تلك الدرجات النسبية المحلية القديمة التي تم استخدامها وهي الخاصة بنسق "سبأ الأصغر بن كعب بن سهل" (149) أو "سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل" عند "هشام بن الكلبي" (150)،

(149) أنظر: الهمداني، إكليل ج 2 (مصدر سابق) 119.

حيث يقول "الهمداني"⁽¹⁵¹⁾ حين عرضه للأسماء التي يتشكل منها ذلك النسق الذي قام بروايته عن "أبي نصر البهري": "...وحضرموت وثباته، وغير أبي نصر يقول: أنه ثباته بن قحطان ويضم النون. وهذا من الأسماء مثل نباته دخل في سبأ الأصغر"، وذلك يدل على أنها عند من عناهم "الهمداني" بـ "غير أبي نصر" لا تذكر منسوبة لسبأ الأصغر وإنما لقحطان. كما يقول "الهمداني"⁽¹⁵²⁾ حين ذكره لـ "يكل بن سبأ الأصغر" في نفس النسق مُعَقَّباً عليه: "وأهل السجل يقولون هو يكل بن قحطان"، وكذلك يقول عنه نفسه في موضع آخر⁽¹⁵³⁾ أنه "يكل بن قحطان بقول الصعديين"، وبالتالي فإن عدم ذكره منتسباً لسبأ الأصغر وإنما لقحطان عند "أهل السجل/ الصعديين" يذكرنا تماماً بذكره في النسق القحطاني الخاص بالسجل.

كما نجد أن "هشام بن الكلبي"⁽¹⁵⁴⁾ لم يُدخل في نسق سبأ الأصغر أغلب تلك الأسماء التي يذكرها هو وأبوه من قبله منتسبة لقحطان رأساً إلا فيما يتعلق بنباته - التي ترد مصحفة "بنانة" - مع إستثنائه له من ذلك النسق الخاص بسبأ الأصغر بقوله: "وبنانة - أي نباته - من قحطان ونُسب في سبأ اليوم وترك النسب الأول"، وكلمة "اليوم" توضح الأنيّة الحَدَثِيّة لانتقال تلك النسبة الناشئة عن عملية المقابلة تلك، والتي وإن بدا فيها انتسابها للنسق القحطاني أقدم من انتسابها لنسق سبأ الأصغر إلا أنه قدم إنما يقوم من خلال وجهة نظره هو - أي "ابن الكلبي" - كنسابة بناءً على درجة الانتساب الأبوي ولا يعبر أبداً عن تلك المقابلة إذ أصبح أمر احتساب عناصر النسق القحطاني على أنها قحطانية ومقابلتها من ثم على ذلك الأساس حقيقة راسخة في نظره كما أسلفنا، وبالتالي فإن تلك العبارة إنما تعكس قربها الحدثي المزمن أو القريب المزمنة لعهد "ابن الكلبي" الذي نجد حقاً أن نسقه القحطاني والنسق القحطاني الخاص بأبيه من قبله هي أقدم الأنساق النسبية القحطانية التي اشتملت على الاسم "نباته" المقابل بالاسم "نوبت" المصحف نسخياً عن "يوبب" عند "عبدالله بن ملاذ".

(150) أنظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن (مصدر سابق) ج 2، 546.

(151) أنظر: الهمداني، إكليل ج 2 (مصدر سابق) 119.

(152) نفس المصدر، 119.

(153) نفس المصدر، 387.

(154) أنظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن (مصدر سابق) ج 2، 546.

وإذا تأملنا في نفس تلك الدرجة النسبية المحلية القديمة (سبأ الأصغر) التي أوردتها لنا "الهمداني" والتي تضم كلاً من "نباتة" و"يكلبي" فإننا سنجد أنها تشتمل أيضاً على كثير من الأسماء الأخرى التي تمت مقابلتها بالنسق اليقطاني كـ "حضر موت والسلف والحارث"⁽¹⁵⁵⁾ التي نجدها تختفي من نفس ذلك النسق (سبأ الأصغر) عند "ابن الكلبي"⁽¹⁵⁶⁾ - كما أسلفنا - ولا بأس في بقائها مذكورة في تلك الدرجة النسبية التي يوردها "الهمداني" إذ أنها منقولة روائياً عن "أبي نصر اليهري"⁽¹⁵⁷⁾ الذي لا علاقة له بالنسق القحطاني والسجل وتلك المقابلات⁽¹⁵⁸⁾. ويبدو جلياً من خلال ما سبق بأن الاستخدام الكثيف لأسماء تلك الدرجات النسبية القديمة المحلية يجعل من تلك الدرجات تظهر كما لو كانت هي وحدها المنهل الذي كان يتم الابتزاز منه في عمليات المقابلات المسبقة.⁽¹⁵⁹⁾

(155) أنظر: الهمداني، إكليل جـ 2 (مصدر سابق) 119.

(156) أنظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن (مصدر سابق) جـ 2، 546.

(157) أنظر: الهمداني، إكليل جـ 2 (مصدر سابق) 119، وكذلك: إكليل جـ 1 (مصدر سابق) 89.

(158) أنظر: الهمداني، إكليل جـ 1 (مصدر سابق) 89.

(159) ومن أمثلة تلك الأنساق النسبية القديمة الأخرى التي تم استخدامها في تلك المقابلات، إضافة إلى نسق سبأ الأصغر

السابق ذكره، نسق "الهميسع بن حمير بن سبأ" عند عبيد بن شربة (أخبار عبيد بن شربة، مصدر سابق، 410-

411): "وولد حمير بن سبأ الهميسع فولد الهميسع أيمن وغوثا وزهير وتوفين"، والذي لو تأملنا فيه، مع أخذنا في

الاعتبار بأن عبيد بن شربة الذي لم يخض في أي من تلك المقابلات يسبق زمناً أولئك النسابة الذين خاضوا فيها

مما يدل على سبق نسقه هذا لهم، لرأينا أن كثيراً من عمليات المقابلات اللاحقة قد نهلت من هذا النسق أغلب

أسمائه. فقد إنتزع منه وهب بن منبه إسمي "الهميسع" و"أيمن" مقابلاً بهما ما وافقهما رسماً من أسماء النسق

اليقطاني بدليل إسقاطه لكلي الإسمين السابقين من نفس تلك الدرجة النسبية (درجة حمير بن سبأ) في كتابه

"التيجان" (إبن منبه، مصدر سابق، 58-64). وإنتزع منه محمد بن السائب الكلبي الإسم "توفين" مصحفاً-

مقابلاً به الرسم العربي لـ "يوفير" سمع إهمال التنقيط- في النسق اليقطاني بدليل إسقاط ذلك الإسم من نفس تلك

الدرجة النسبية (حمير بن سبأ) في كتاب "نسب معد واليمن الكبير" لإبنه هشام الراوي عنه (مصدر سابق، جـ

2، 534)، وكذلك أيضاً الإسم "غوثا". ومثالاً آخر على ذلك فيما نجده من مقابلة الهيثم بن عدي للصورة النسخية

المصحفة لـ "يوفير" سمع إهمال التنقيط- بالإسم "يعفر" والتي يتضح أنه إستخدم فيها نسق "المعارف بن يعفر"

الوارد ذكره منتسباً لحمير عند وهب بن منبه (إبن منبه، مصدر سابق، 72)، مع الأخذ في الاعتبار سبق وهب

بن منبه زمناً للهيثم بن عدي وبالتالي سبق نسقه هذا (المعارف بن يعفر منتسباً لحمير) لعهد الهيثم بن عدي. ودليل

إستخدام الهيثم بن عدي لهذا النسق في تلك المقابلة أن ذلك الإستخدام والإنتزاع منه يبين عن نفسه في عدم

إقتصار الهيثم في ذلك الإنتزاع على الإسم "يعفر" فقط حسب سياق الموضوع المتحدث عن أبناء قحطان بل لقد

أشمل في ذلك الإنتزاع بقية إمتداد ذلك النسق في "المعارف" ليصبح عنده "المعارف بن يعفر بن قحطان" (أنظر:

الهمداني، إكليل جـ 1، مصدر سابق، 192)، بما معناه أن الذي دعاه أو قاده إلى ذكر "المعارف" إنما هو إنتساب

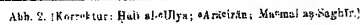
"المعارف" أبوياً في ذلك النسق الأصل (الحميري) المُنْتَزَع منه إلى "يعفر" مفصلاً عن نفسه بأنه هو نفسه نسق

وكذلك الحال فيما يتعلق بـ "خولان" المذكورة في النسق القحطاني الخاص برواية السجل فقد قوبلت، وفقاً لما يذكره "الهمداني" في نفس النسق من نعتها بأنها "خولان رداً التي في القفاعة"، بخولان رداً في نسق "القفاعة بن عبد شمس بن وائل... بن الهميسع بن حمير". يدل على ذلك ما نجده في نفس ذلك النسق النسبي الخاص بالقفاعة بن عبد شمس الوارد في كتاب "الإكليل ج 2"⁽¹⁶⁰⁾ من خلوه وفق روايته الأصل التي ينقلها "الهمداني" من ذكر خولان رداً كاسم ينتسب صراحة إلى القفاعة وبدلاً من ذلك يرد بدلاً عن ذلك مسمى آخر هو "ردبعة بن القفاعة بن عبد شمس" نجد "الهمداني" يقوم بالتعليق عليه في نفس النسق بالعبارة "وهو خولان رداً" لتأتي تلك العبارة في هيئة الإلحاق الاجتهادي الذي تم إدخاله على رواية النسق النسبي الأصل ربما من خلال "الهمداني" نفسه أو من خلال الرواة الذين رووا ذلك النسق قبله.

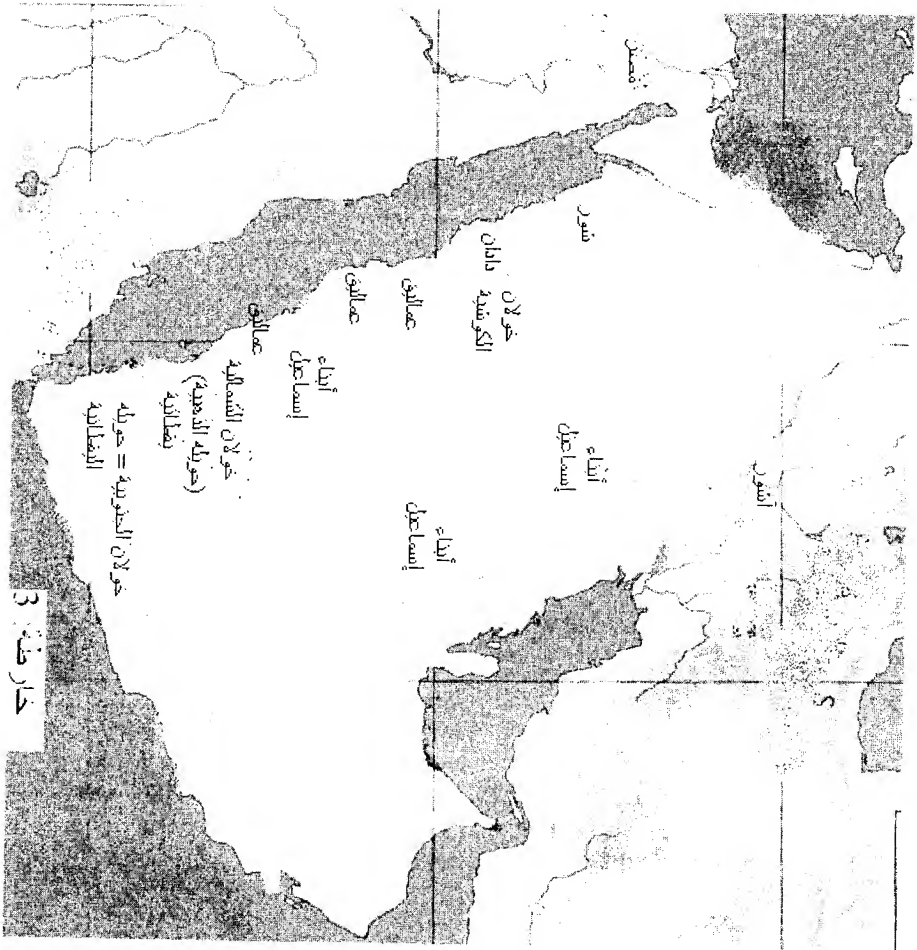
ومجمل القول فمن الواضح بأن تركيزهم في انتزاع تلك الأسماء من أقدم الدرجات النسبية التي ترد فيها مع تركهم لها في بقية مواضع ورودها في الدرجات الأخرى التالية قدماً، إنما كان بقصد توخيهم لأقدم الدرجات النسبية التي تقربهم قدماً من درجة القدم الأبوي النسبي للنسق القحطاني.

"المعافر بن يعفر" المنتسب في الأدبيات الأسبق إلى حمير. مع بقاء "المعافر بن يعفر" في درجة نسبية غير منتسبة لقحطان رأساً عند هشام بن الكلبي من نفس تلك الفترة لكونه لم يدخله في المقابلة الخاصة به، وإن كان قد ورد عنده مندمجاً في نسق "المعافر بن مالك" الخاص بعبيد بن شربة الذي ينسبه إلى كهلان في درجة نسبية أكثر حداثة أنسابية واستطالة: "المعافر بن مالك... بن كهلان" (أخبار عبید بن شربة، مصدر سابق، 411)، ليرد عند ابن الكلبي هكذا: "المعافر بن يعفر بن مالك... بن كهلان" (نسب معد واليمن، مصدر سابق، ج 1، 215). ومما يؤكد أيضاً عملية ابتزاع الهيثم بن عدي لنسق "المعافر بن يعفر" في تلك المقابلة، معارضة الهمداني له على ذلك وتأكيده على نسبة "المعافر بن يعفر" -تفلاً عن أهل السجل- كما هي عند ابن الكلبي إلى "كهلان" (إكليل ج 1، مصدر سابق، 192).

(160) أنظر: الهمداني، إكليل ج 2 (مصدر سابق) 107.



خارطة : ٢ (عن فون فيسمان)



شكراً رقد (١)

(۱) \bar{u}, \bar{v}